

١

مع النسوة الصالحات  
في الإسلام

من خطاب  
سماحة المرجع الديني  
الشيخ محمد اليعقوبي

(٢)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

---

مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٣)

الفصل الأول: أمنت بنت وهب

(٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

---

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٥)

### آمنة بنت وهب<sup>(١)</sup>

#### سمو منزلة السيدة آمنة بنت وهب:

في مثل هذه المناسبات يتم التركيز على صاحب المناسبة أعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذكرى ولادته وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحق أن تكرر الأعلام والمنابر والكتب لنشر فضائله، ولكن لا يحسن إغفال ذكر الوالدة أيضاً كما يحسن أن نذكر خديجة الكبرى أم المؤمنين في ذكرى ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفاطمة بنت أسد في ذكرى ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) لأن كل المناقب التي حظي بها المولود من انعقاد نطفته إلى حين ولادته ونشأته كانت الوالدة شريكة له في ذلك مضافاً إلى سموها في ذاتها.

وهل نحتاج إلى دليل لثبت سمو منزلة آمنة بنت وهب وقد اختارها الله تبارك وتعالى لتكون وعاءاً لحمل أكمل مخلوق وسيد الخلق أجمعين يتغذى في أحشائها ثم تضعه في أطهر

---

(١) من حديث سماحة الشيخ العفوي في الاحتفالية التي أقامها طلبة جامعة الصدر

الدينية في مكتبته يوم المولد النبوي الشريف عام ١٤٣٠هـ ونشر في العدد (٧٩)

من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ١٠/١/١٤٣٠ الموافق ٢٠٠٩/٥/٦.

## (٦)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ولادة ليتغذى من لبنها، ونحن نعرف ما للأُم من تأثير في صفات الطفل وملكاته.

### **نقيات الجيوب:**

حينما يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في خطبته في البلاط الأموي (أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)<sup>(١)</sup> فإن أمانة بنت وهب أم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأسهن، وحينما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته لجدّه الإمام الحسين (عليه السلام) المعروفة بزيارة وارث (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها)<sup>(٢)</sup> فإن أمانة بنت وهب من هذه الأرحام المطهرة التي وحّدت الله تبارك وتعالى وعكفت على طاعته وعبادته ولم تلوث بأدران الجاهلية.

ولذا ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٩) من طرق الشيعة والسنة أن معناها تقلب نطفته وانتقالها من أصلاب الموحّدين إلى أرحام الموحّدات عن نكاح غير سفاح من لدن آدم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥١٩.

(٢) إقبال الأعمال: ج ٣ ص ١٠٣.

(٣) راجع مجمع البيان و تفسير الميزان في تفسير الآية.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٧)

إن العفة والطهر والفضيلة التي اتصفت بها أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في مجتمع تسوده الموبقات والمنكرات بأرذل أنواعها بحيث كان يشار إلى أربعة أحدهم جعفر بن أبي طالب لأنهم حرّموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية لندرة من يتجنب هذا الخبيث، فكيف بمن عفا عن كل ما يشين، في حين كان الآخرون عاكفين على عبادة الأوثان ويمارسون الرذيلة حتى من كانت تعرف بأنهن سيدات قریش.

### **تزييف المؤرخين:**

لقد قصر المؤرخون والكتّاب والخطباء في حق هذه السيدة الجليلة ولم يبيّنوا فضائلها ومآثرها، وبالغ الكثير منهم فحرموها من أقدس علاقة بين الأم ووليدها حيث قالوا أنها دفعت وليدها إلى حليلة السعدية لترضعه وهي موجودة لأنها توفيت بحسب زعمهم وعمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ست سنوات.

وهذا تزييف للتاريخ فإن آمنة أَرْضعت ولدها وأشفقت عليه وتولّت رعايته لكنها لما ماتت وعمره بضعة أشهر دفعه جده عبد المطلب إلى حليلة لترضعه، وأنت ترى أن موسى بن عمران (عليه السلام) ولد في أسوء الظروف حيث كان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، وأوحى الله تبارك

## (٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وتعالى إلى أمه أن تجعله في تابوت وتلقيه في اليم، ومع ذلك لم يحرم أمه من هذه الرابطة المقدسة قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ١٢-١٣).

وقد ذكروا وجوهاً لتبرير هذه الأكذوبة فقالوا لجفاف اللبن عند أمه آمنة مع أن العكس هو الصحيح فإن حليلة السعدية تروي أن صدرها كان جافاً من اللبن فلم تستطع إرضاع ولدها حتى ألقمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الثدي فدرّ لبنها، وقالوا لكي يتعلم الصغير آداب العربية وخصال العرب، وهو حط من منزلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يقول: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)<sup>(١)</sup> وقال (أنا أفصح من نطق بالضاد)<sup>(٢)</sup> فمن ذا الذي يتعلم عنده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً؟

وإذا كانت هناك امرأة تولت رعايته والحنوّ عليه وتفضيله على أولادها فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم زوجة عمه أبي طالب التي قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) البحار: ج ١٦ ص ٢١٠.

(٢) أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢١٩.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٩)

وسلّم): (إنها أُمي بعد أُمي)<sup>(١)</sup>.

---

(١) أنظر شرح النهج لمحمد عبده: ج ٣ ص ٦١.

(١٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١١)

**الفصل الثاني:**

**أم المؤمنين خديجة بنت خويلد قدوة**

**الزوجات الرساليات**

(١٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

---

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٣)

### أم المؤمنين خديجة بنت خويلد قدوة الزوجات الرساليات<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

#### نعمة الولاية:

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام، والهداية إلى الإيمان وولاية أهل البيت (عليهم السلام). هذه - أي الإيمان وولاية أهل البيت (عليهم السلام) - كلها نعم قلّما يُلتفت إليها. فالناس تعرف من معنى النعمة المال والبنين والجاه، أمّا هذه النعم التي هي أعظم النعم لا يلتفت إليها، لذلك هذا الشخص الذي يأتي إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ويقول له: ليس عندي أي شيء، فيقول له الإمام: عندكم أكثر مما في السماوات والأرض، فقال: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال الإمام (عليه السلام): عندك ولايتنا أهل البيت، لو أعطيت ما في السماوات والأرض هل تتخلى عنها؟ قال: لا، يا ابن رسول الله، قال الإمام (عليه السلام): إذن

---

(١) أُلقيت بمناسبة ميلاد الزهراء (عليها السلام) في ٢٠ جمادى الثانية ١٤٢٢ هـ

## (١٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

لديك شيء أكبر من السماوات والأرض.. فهذه نعمٌ قلما يلتفت إليها - وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على الأدلاء على طاعته والهداة إلى سبيله والقائمين بأمره، والوسيلة إلى رضوانه، وأبواب رحمته، محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

### **عوامل نجاح الرسالة الإسلامية:**

لا بد لأي رسالة لكي تستمر في الوجود وتحافظ على نفسها، ومنها رسالة الإسلام - ولك أن تطبقها على أية رسالة... المذهب كرسالة، أو أنتم كحوزة أيضاً عندكم رسالة تطبقونها، لكنني أخص في الذكر رسالة الإسلام - إلى عدة مقومات أستطيع تصنيفها إلى: **عوامل ذاتية وموضوعية، فأما الذاتية فهي ترجع إلى:**

أ - ذات الرسالة من حيث المحتوى والمضمون.

ب - ذات حاملها وما يمتلك من مؤهلات وقابليات وملكات.

وأعني بالعوامل الموضوعية، العوامل الخارجية المحيطة بالرسالة، ورسالة الإسلام اكتملت فيها هذه المقومات، فمن الناحية الذاتية ذات الرسالة شريعة إلهية نزلت من خالق السماوات والأرض، وذات حاملها أكمل مخلوق وأشرف

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٥)

مخلوق، ولا أريد هنا التحدث عن هذه الناحية (العوامل الذاتية) فلها مناسبة أخرى، وأما العوامل الموضوعية الخارجية فهي ثلاثة :

**أولاً: القوة التي تدافع عن الرسالة وحاملها،** وقد تمثلت بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

**ثانياً: العنوان الاجتماعي الكبير** الذي يمثل الغطاء والحصانة الاجتماعية لحامل الرسالة فيحميه من الأخطار، وقد تمثل بأبي طالب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أشار الشاعر إلى هذين العاملين فقال :

فلولا أبو طالب وابنه

لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحاما

وهذا ييشرب لاقى الحماما

وهذان الركنان يفتقدهما جملة من الأنبياء كما عبر القرآن، مثلاً عن نبي الله لوط (عليه السلام) فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) فالقوة هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والركن الشديد أبو طالب (عليه السلام) لو طبقناهما على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنبى الله لوط (عليه السلام) لم يكن يمتلك هذين المقومين.

## (١٦)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ثالثاً: المال الذي وفره ثراء أم المؤمنين خديجة ومالها الكثير الذي كرسته لإنجاح دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

### ماذا يعني ذكرنا للسيدة خديجة؟

وأنا بهذه المناسبة - العشرين من جمادي الثاني - التي تصادف ميلاد الزهراء (عليها السلام) أودّ الحديث عن الوالدة خديجة الكبرى، وأكون بذلك قد أعدت ذكرى هذه المرأة الجليلة التي أطأطأ رأسي كلما ذكرتها هيبة وإجلالاً لعلو مقامها، ويكفي دليلاً على ذلك -الدليل على علو قدرها - أن الإمام المعصوم (عليه السلام) يفتخر بالانتساب إليها، ففي زيارة وارث التي هي مروية عن إمام معصوم يزور بها إماماً معصوماً فيعظمه، بقوله (عليه السلام): (السلام عليك يا بن خديجة الكبرى)<sup>(١)</sup>، فما هي منزلة خديجة الكبرى حتى يفخر الإمام (سلام الله عليه) بالانتساب إليها.

وبهذا الحديث عن أم المؤمنين خديجة الكبرى نكون قد أدخلنا السرور على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أحب خديجة بصدق وإخلاص، وبقي وفيّاً لذكرها طول حياته وبعد وفاتها بسنين كثيرة، فقد روى ابن حجر في الإصابة

(١) البحار: ج ٩٨ ص ١٩٩.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٧)

عن عائشة قولها: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا ذبح الشاة - وهذا الكلام في المدينة بعد وفاتها بسنين طويلة، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل بعائشة في المدينة - يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة إني لأحب حبیبها<sup>(١)</sup>.

وندخل السرور على ابنتها الزهراء (عليها السلام) فإنها تسر بذكر أمها بقدر حزنها عليها حين توفيت، فقد روي أن الزهراء (عليها السلام) كادت أن تهلك نفسها من البكاء وهي يومئذ بنت خمس سنين، وجعلت تلوذ بأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدور حوله وتقول له: أب أين أمي<sup>(٢)</sup>، حتى هبط الأمين جبرائيل (عليه السلام) يقرأ فاطمة السلام من الله تعالى ويخبره بمكان أمها في الجنان، فمن هي خديجة؟

### **من هي خديجة؟**

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو أسد بطن من بطون قريش، منهم العوام بن خويلد والد الزبير، فخديجة عممة الزبير بن العوام، وهو ابن

---

(١) أنظر الإصابة لابن حجر: ج ٨ ص ١٠٣.

(٢) البحار: ج ١٦ ص ١.

## (١٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صفية بن عبد  
المطلب.

### السيدة الطاهرة لا تنصاع للتقاليد المنحرفة :

كانت خديجة في الجاهلية تدعى بالطاهرة؛ لأنها لم  
تدنس نفسها بما كانت تفعله نساء قومها من سلوكيات الجاهلية  
المنحرفة، حتى سيدات قريش كانت تخوض في تلك الأعمال  
لذا عُيِّرَ عدد من رجال قريش بأمهاتهم، فأحدهم يقال له ابن  
النابعة، والآخر يقال له ابن الزرقاء والثالث يقال له ابن صهاك  
والرابع يقال له ابن آكلة الأكباد - هكذا كانت أمهات هؤلاء،  
أما خديجة (عليها السلام) فكانت تسمى بالطاهرة، حتى أنه  
روي عندما جاءت النساء تُسَلِّمُ بعد الفتح، ومنهن هند، فقرأ  
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سورة الممتحنة إلى أن  
وصل ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ (الممتحنة: ١٢)، فقالت  
إحدهن: وهل الحرة تزني؟ وكان العباس بن عبد المطلب  
جالساً فنظر إليها ونظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)  
وابتسم<sup>(١)</sup> - أما خديجة فكانت عفيفة نقية طاهرة جليلة  
القدر في الجاهلية قبل الإسلام، وهذا أول درس نستفيده من  
هذه المرأة العظيمة بأن لا ينصاع الإنسان للأعراف والتقاليد

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٧٠ ص ١٧٨.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٩)

والتصرفات المنحرفة التي تسود المجتمع انطلاقاً من كلمتهم المشهورة (حشر مع الناس عيد).

وهذا الوصف - أي الطاهرة - ينسجم مع عقيدتنا نحن الإمامية بأن سلسلة آباء وأمّهات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعصومين كلهم مؤمنون موحدون إلى آدم (عليه السلام)، وقد ورد في زيارة وارث: (أشهدُ أنّك كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ، وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلِيسْكَ مِنْ مُدْلَهَمَاتِ ثِيَابِهَا) <sup>(١)</sup>، وقال الإمام السجاد (عليه السلام) في خطبته المعروفة في مجلس يزيد (لعنة الله عليه): (أنا ابن قليلات العيوب نقيّات الجيوب) <sup>(٢)</sup>، وأوضح مصداق لهذه الأمّهات هي الزهراء وخديجة (عليهما السلام).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه تزوجها قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عتيق بن عائذ المخزومي وأبو هالة التميمي، ولأبي هالة منها هند بن أبي هالة، فيكون هند أختاً للزهراء (عليها السلام) من أمه، لذلك ورد في صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث الإمام الحسن (عليه

(١) إقبال الأعمال: ج ٣ ص ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥١٩.

## (٢٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

السلام) قال سألت خالي هند بن أبي هالة ، وكان وصافاً<sup>(١)</sup> ، وقد تكون بعض تلك التفاصيل التاريخية محل نظر وإشكال لسنا بصدد التحقيق فيه.

### قصة زواجها من رسول الله ﷺ:

خطبها الكثير من أشرف قريش لمالها وجمالها وجلالة شأنها قبل تزوجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فرفضت، حتى رغبت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما سمعت من غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة ومما سمعته من بحيراء الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة، وكان عمره الشريف حين زواجه منها خمسة وعشرين سنة وهي في الأربعين، لتعطينا درساً آخر هو أن المرأة مهما تمتلك من مقومات الجمال والمال والكمال إذا جاءها من هو كفاء من حيث العقل والدين فلا ترفضه لأجل فقره أو أي اعتبار آخر، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتيماً وليس موسراً، وهي ثرية

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي الحديث الأول ص ١٠.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٢١)

ذات تجارات واسعة في مصر والحبشة والشام وغيرها، ويخرج الرجال للانتفاع بأموالها ولها عدد كبير من الجمال.

وقد ذكرت قصة زواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بها من البداية وقصة سفره للتجارة بأموال خديجة وما رافقه من المعجزات في بعض المصادر، وقد عارض هذا الزواج عدد من أهل المقاييس الدنيوية كما هو الحال اليوم، وعاشت معه حياة زوجية سعيدة، ظلّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحن إليها ولم تعوضه عنها أية زوجة من زوجاته اللاحقة، حتى أن إحداهن قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة - وهذا الكلام في المدينة بعد وفاتها بسنين - فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها. فغضب ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها، آمنتُ بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء<sup>(١)</sup>.

### المؤمنة الأولى:

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٢٢٤/٩ وغيرها من المصادر على تقارب بالألفاظ.

## (٢٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وكانت متفهمة لسلوك زوجها (صلى الله عليه وآله وسلم) والتربية التي يربها استعداداً لحمل الأمانة الكبيرة، فقد حُبب إليه الخلاء في غار حراء قبل البعثة بسنين، فكانت ترعاه وتمده - وهكذا ينبغي لزوجات الرساليين أن يكنَّ متفهمات لمسؤوليات أزواجهنَّ وراضيات بها ومتعاونات معهم - حتى بُعث بالنبوة في الأربعين من عمره، فكانت أول من آمن به، ولم تكن تحتاج إلى برهان ودليل على صدقه؛ لأنها كانت ترى اجتماع أوصاف النبي المنتظر فيه، بل أستطيع القول أنها تزوجته بعد أن توسمت فيه ذلك، فرجَّتْ أن تنال هذا الشرف العظيم، فشاء الله تعالى لها هذه المنزلة الرفيعة، فزواجهما منه كان مبنياً على هذا الهدف العظيم، لا كما يصوره بعضهم من أنه ناشئ عن علاقة حب قبل الزواج ليبرر به العلاقات غير المشروعة والاختلاط غير الشريف.

### البيت الأول في الإسلام:

ولم يكن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طوال سنين بعد النبوة إلا هي وأمير المؤمنين (عليه السلام) كما سجله الإمام (عليه السلام) في بعض كلماته في نهج البلاغة، ففي كلمته التي يصف فيها موقعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن قال (وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرٌ

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٢٣)

أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْمًا مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالِإِقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ<sup>(١)</sup>، وهكذا بدأ الإسلام بهؤلاء الثلاثة.

### الملكات النفسية للسيدة خديجة:

وكانت امرأة عاقلة حكيمة، فحينما خوطب (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة وغشي عليه هيبه لكلام الله تعالى بادر إلى عند خديجة يقول لها: زملوني زملوني وهو مثل حمل هذه الأمانة العظيمة، فأقبلت خديجة (رضي الله عنها) تعينه على أمره وتقول: كلا والله، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم... إلى آخر كلامها، وقالت له (صلى الله عليه وآله وسلم): أبشر يا بن عمّ واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، وكانت قد اطلعت على العلامات التي تسبق ظهور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنّ زمانه قد حان، وسمعت ذلك من ابن عمّها ورقة بن نوفل ومن بعض الأحرار والرهبان، وكانت تتوقع

(١) نهج البلاغة ١٥٧/٢.

## (٢٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ذلك في محمد بن عبد الله<sup>(١)</sup>، بل إنها تزوجته لما تفرست فيه من كمالات تؤهله لأن يكون هو نبي آخر الزمان فتحققت فراستها.

### **معرفتها بربها:**

وبين جبرائيل (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيفية الوضوء والصلاة وعلمها لخديجة ففعلت كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان جبرائيل يقرأ خديجة السلام من ربها فيقول لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اقرأ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا خديجة، هذا جبرائيل يقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: الله السلام ومنه السلام وعلى جبرائيل السلام<sup>(٢)</sup>.

### **مع الآم النبوة والرسالة:**

ووقفت إلى جنب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتخفف عنه آلام الرسالة وأعباءها وتُشد من أزره وتسمعه كل كلام طيب وتفرج كربه، وكانت (رضي الله عنها)

---

(١) أنظر: سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٥٣.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٤ ص ١٨٢١.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٢٥)

لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عوناً كبيراً - وهنا ملاحظة ننبه عليها وهي ضرورية - فإن أشد ما يحتاجه حامل الرسالة مقابل ما يتعرض له من مصاعب ومحن هو البيت الهادئ والصدر الحنون والواسع، وعلى العكس فإن أصعب من كل ما يواجهه في الخارج هو البيت المشاكس، لذلك نجد أن أشد تهديد في القرآن لم يوجه إلى المشركين - رغم أنهم نصبوا الحرب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - ولا إلى الكفار ولا إلى اليهود ولا إلى إبليس ولا إلى المنافقين، وإنما وجه إلى داخل البيت الذي كان ينغص على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حياته فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم: ٤) - فإنه تعالى لم يهدد أحداً بهذا التهديد، فغاية ما أعد للمشركين أنه نزل عليهم ثلاثة آلاف من الملائكة مسؤمين، أما إبليس فقال عنه: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (النساء: ٧٦)، مما يدل على خطورة التنغص من داخل البيت<sup>(١)</sup>، فمن هنا نعرف أهمية دور خديجة في احتضان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يواجه تلك المصاعب في أول بعثته - .

(١) راجع كتاب (رفقاً بالرجال يا قوارير).

## (٢٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وهذا الدرس أريد أن تستفيده نساء حاملتي الرسالة والمسؤولية من علماء وفضلاء وخطباء ومؤمنين وواعين، فيكنّ لهم كما كانت خديجة رضوان الله عليها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا كاللواتي نزل فيهنّ هذا التهديد الشديد بسبب نظرتهن المادية الضعيفة للحياة الزوجية.

### ولادة فاطمة الزهراء (عليها السلام):

وفي السنة الخامسة من البعثة ولدت فاطمة الزهراء (عليها السلام)<sup>(١)</sup>، وقد تضمنت ولادتها الكثير من الآيات والمعجزات مما لا مجال لذكرها الآن - إحداهن أنها كانت مقاطعة من قبل نساء قومها، والمرأة أثناء الولادة تحتاج إلى امرأة أخرى تلي أمر الولادة منها، ففي الرواية أنه نزلت أربع نسوة من السماء تلي أمر الولادة فسألتهن خديجة عمن يكنّ، فعرفن أنفسهن بأنهن مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً من المعجزات قضية تحديث الزهراء لأمها وهي حمل في بطن أمها، فقالت: يا رسول الله، إن هذا الحمل الذي في بطني يكلمني، فبشرها رسول الله (صلى الله عليه وآله

(١) أنظر: الكافي: ج ١ ص ٤٥٨، والبحار: ج ٤٣ ص ٦.

(٢) البحار: ج ٦ ص ٨٠.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٢٧)

وسلم) أنها ستكون منها ذريتي، وأنها امرأة طاهرة<sup>(١)</sup>، فلذا كانت تسمي الزهراء (عليها السلام) بالمُحدِّثة والمُحدِّثة بالكسر والفتح.

وهنا أود الإشارة إلى فائدة مزدوجة: -

### **عمر السيد خديجة:**

**الأولى:** أن عمر خديجة حين ولادتها للزهراء كان ستين سنة (تزوجها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي في الأربعين فلما بلغ البعثة وكان عمره أربعين أصبح عمرها ستون سنة) وهو عمر غير مناسب عادة للحمل والإنجاب، فيكون أصل حملها بالزهراء معجزة خلاف القوانين الطبيعية، وهذه النكتة لم تسجل في الكتب، ومنها نتقل إلى فائدة أخرى.

### **فائدة فقهية:**

**الثانية:** اشتهر بين الفقهاء أن سن اليأس للمرأة هو خمسون عاماً إلا القرشية فإنه ستون وقد اعترفوا رغم شهرة الحكم أنه لا دليل عليه (أنقل لكم نصاً من شرح اللمعة للشهيد الثاني، قال الشهيد الثاني في شرح اللمعة: والحكم مشهور

---

(١) السابق: ج ١٦ ص ٨٠، ودلائل الإمامة: ص ٨.

## (٢٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ومستنده غير معلوم، واعترف المصنف (الشهيد الأول) بعدم وقوفه فيها على نص<sup>(١)</sup>. فأقول: لعل الأصل في هذا الحكم هو حمل خديجة - وهي قرشية كما نعلم - بفاطمة وهي في الستين من العمر.

### **المرأة الرسالية:**

وقد تحملت معه (صلى الله عليه وآله وسلم) ألوان الأذى وبذلت كل تلك الأموال الطائلة في نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحوصرت معه في شعب أبي طالب سنين عجاف اتفقت فيها قريش على مقاطعة بني هاشم ومن والاهم اقتصادياً واجتماعياً، فأجهدهم الجوع والعناء وهم يعانون هذه العزلة في شعاب الجبال، مما ينبئك أن هذا السلاح الخسيس يلجأ إليه أهل الباطل ليحققوا مآربهم الشيطانية في كل زمان ومكان، ولم يكن يصل إليهم الطعام إلا بشق الأنفس، وفي أحد الأيام لقي أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة وهي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه في الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختری بن هشام بن

---

(١) أنظر: الروضة البهية: ج ١ ص ٣٧١.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٢٩)

الحارث بن أسد فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البخترى: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخترى لحي بعير فضربه به فشجّه ووطأه ووطأ شديداً<sup>(١)</sup>، هذا والجميع مشركون.

وبعد أن خرجوا من الشعب ومزقت صحيفة المقاطعة في حادثة معروفة توفيت هي وأبو طالب، وبينهما ثلاثة أيام في شهر رمضان من السنة العاشرة للبعثة، فهدّ موتها ركن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمّى ذلك العام بعام الحزن ودفنت بالحجون، ونزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفرتها<sup>(٢)</sup> وتركت بعدها يتيمتها الزهراء (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي بنت خمس سنين.

### فضائل السيدة خديجة:

وردت في فضلها عدة أحاديث، ففي الخصال للصدوق عن ابن عباس قال: خط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٥/٢.

(٢) أنظر البحار: ١٦ ص ١٣.

## (٣٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وآله وسلم) أربع خطط في الأرض وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون). وهذا الحديث مروى بطرق متعددة توجد في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع على هامش الإصابة لابن حجر<sup>(١)</sup>.

وفي الخصال أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أفضلهن - أي زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - خديجة بنت خويلد ثم أم سلمة بنت الحارث)<sup>(٢)</sup>، وروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (قام هذا الدين بمال خديجة وسيف علي بن أبي طالب)<sup>(٣)</sup>.

ولما منّ الله تعالى بنصر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) على اليهود وغنم منهم فذكّ الأرض الزراعية الواسعة - كانت خالصةً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، والقرآن يقول ما دام لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فهي تكون خالصة لرسول الله

---

(١) الاستيعاب: ج ٤ ص ١٨٢٢.

(٢) الخصال: ص ٤١٩.

(٣) أنظر شجرة طوبى: ج ٢ ص ٢٣٣.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٣١)

(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونزل قوله تعالى: ﴿وَأْتِ دَا  
الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦) قال الروح الأمين لرسول الله  
(صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله يأمرك أن تدفع فذك إلى  
فاطمة نحلة عوضاً عما بذلته أمها خديجة من أموال في سبيل  
الإسلام، فكانت بيدها (عليها السلام) في حياة رسول الله  
(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حين وفاته<sup>(١)</sup>، فسلام عليها  
وعلى ابنتها وعلى ذريتها وعلى زوجها، والحمد لله رب  
العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) أنظر: سفينة البحار: ج ٢ ص ٣٥١، وشرح ابن أبي الحديد: ج ١٦  
ص ٢١٠.

(٣٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

**الفصل الثالث:**

**فاطمة بنت أسد مثال  
الإيمان والتضحية**

(٣٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

---

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٣٥)

فاطمة بنت أسد مثال الإيمان والتضحية<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

### لنحتفي بهذه المرأة العظيمة:

الحمد لله كما هو أهله وصلى على محمد وآله الطاهرين...  
كما تحدثنا في ذكرى ولادة الزهراء (سلام الله عليها)  
عن الوالدة، كذلك في هذه المناسبة المباركة التي هي مولد أمير  
المؤمنين (عليه السلام) نذكر الوالدة العظيمة فاطمة بنت أسد  
بن هاشم، خصوصاً وأنه لم يعرف يوم وفاتها أو ولادتها حتى  
يحتفل بذكراها، فلنخصص جزءاً من الاحتفالات في هذا اليوم  
لها باعتباره يوماً من أيامها لما حصل لها في هذا اليوم من المنقبة  
والفضيلة.

### المشتركات بين خديجة وفاطمة بنت أسد:

وهاتان المرأتان أعني خديجة وفاطمة بنت أسد  
(عليهما السلام) تشتركان في نقطتين:

---

(١) أُلقيت على طلبة الحوزة الشريفة بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في

## (٣٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

**الأولى:** رعايتهما الواسعة لحامل الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أوجب صدور كلمات رقيقة وجليلة منه (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهما.

**الثانية:** تقصير المسلمين في معرفة هاتين المرأتين، وغاية ما يعرف عنهما اسمهما وبعض التنف البسيطة عن سيرتهما المباركة لا أكثر، فكتاب الإصابة المكرّس لسير الصحابة كتب أقل من نصف صفحة في سيرة فاطمة، بينما ملأ صفحات لغيرها ممن هنّ أقل شأناً منها ولا سابقة لهنّ في الإسلام. وكتاب الأعلام للزركلي الذي دوّن أسماء من هبّ ودب لم يذكر لها اسماً ولا حتى في المستدرک.

### **مظلومية فاطمة بنت أسد:**

وإن كانت مظلومية فاطمة بنت أسد أكبر من خديجة، والجهل بها أكثر لذنّب حُسب عليها، وهو أنها أم علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي حادّته قريش وناذته وشتّمته على المنابر سبعين عاماً، فكيف يمجدون أمه، ويشاركها بهذا الذنب زوجها حامي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وناصره أبو طالب بن عبد المطلب سيد الأبطح، الذي قالت فيه أخت عمرو بن عبد ود العامري فارس قريش بعد أن بلغها قتله، قالت: ومن الذي تجرأ على أخي وقتله؟ قيل لها: علي بن أبي

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٣٧)

طالب، فارتاحت عندئذ وسكنت وقالت أبيات من الشعر،  
نأخذ هذين البيتين محل الشاهد<sup>(١)</sup>:

لو كان قاتل عمر غير قاتله  
لكنتُ أبكي عليه دائم الأبدِ  
لكن قاتله من لا يعاب به  
قد كان يدعى أبوه بيضة البلدِ

### **دروس للمرأة المسلمة:**

ونحن حينما نعرض سيرة هاتين المرأتين (خديجة وفاطمة بنت أسد)، خصوصاً إذا لم نكتفِ بالسرد التاريخي وإنما نبين بعض الدروس والعبر المستفادة منهما، فإننا سنغني ثقافة المرأة المسلمة بالشيء الكثير، لأن مكتبة المرأة تبدو فقيرة بمعالم شخصية المرأة المسلمة كما يريد الإسلام، فمن هي أم أمير المؤمنين (عليه السلام)؟

### **من هي فاطمة بنت أسد؟**

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم وزوجها أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم، فأولادهما أول من ولد من

---

(١) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي: ج ٢ ص ٤٩٩.

## (٣٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

هاشميين<sup>(١)</sup>، والمروي أنهم أربعة وأن أكبرهم طالب، والمعروفون ثلاثة عقيل ثم جعفر ثم علي (عليه السلام)، وبين كل واحد وآخر عشر سنين<sup>(٢)</sup>، فيكون أولهم (وهو طالب) أكبر من آخرهم (وهو علي (عليه السلام)) بثلاثين سنة، وهو نفس الفرق في العمر بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعمر بقدر طالب الابن الأكبر لأبي طالب<sup>(٣)</sup>.

### المرأة الموحدة:

وقد كانت مؤمنة بالله وموحدة له قبل الإسلام على دين أبيها إبراهيم (عليه السلام) وملته، وبذلك نعتقد نحن الإمامية، فإن سلسلة آباء وأمهات المعصومين (عليهم السلام)

---

(١) بعض المصادر قالت أن علي بن أبي طالب هو أول من ولد من هاشميين والصحيح أن إخوته سبقوه بهذا اللقب لأنه أصغرهم والمهم أنه (عليه السلام) وإخوته سبقوا كل أحد بهذا العنوان، لذا لا بد من تأويل هذا الكلام الموجود في تهذيب الأحكام -والذي تجده في الكافي، كتاب الحججة باب مولد أمير المؤمنين (عليه السلام). ولعله أراد بالأول نسبة إلى غير أولاد أبي طالب فيكون: الكلام شاملاً له وإخوته وليس بالنسبة إلى إخوته.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣

(٣) هذا الحساب نحتاجه لأمر ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٣٩)

كلهم إلى آدم (عليه السلام) مؤمنون موحدون، فإنهم لم ينتقلوا إلى صلب مشرك ولا رحم مشرقة قط.

### **ولادتها لأمير المؤمنين (عليه السلام):**

ويشهد لذلك ما ورد في حديث ولادتها لأمير المؤمنين (عليه السلام) - وكان ذلك قبل البعثة طبعاً - عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بأزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت حاملاً بأمير المؤمنين (عليه السلام) لتسعة أشهر، وكان يوم التمام، فوقعت بأزاء بيت الله الحرام، وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت: أي رب، إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتاب أنزلته، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فإنه بنى بيتك العتيق (وهذا شاهد على إيمانها في الجاهلية)، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسني بمحيثه وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك، لما يسرت عليّ ولادتي. قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب: فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفتح من ظهره ودخلت

## (٤٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتصقت.. إلى أن خرجت وبين يديها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكانت طيلة مكثها في داخل الكعبة تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها بحسب ما أفادته الروايات<sup>(١)</sup>، في ذلك يقول جدي الشيخ اليعقوبي<sup>(٢)</sup>:

قمر بدا من أفق مكة يشرقُ  
فأضاء مغربها به والمشرقُ  
وتهلل البيت الحرامُ بطلعةٍ  
منها يلوحُ سنا الهدى يتألقُ  
وضعته وسط البيت أمُّ لم تزل  
تقتات من ثمر الجنان وتُرزقُ

ولعبد الباقي العمري (رحمه الله) في ميلاده (عليه السلام):

أنت العلي الذي فوق العلي رُفعا  
بيطن مكة وسط البيت إذ وضعها

---

(١) انظر كشف الغمة: ج ١ ص ٨٢، البحار: ج ٣٥ ص ٨.  
(٢) نشرت في مجلة الإيمان التي كان يصدرها والدي الشيخ موسى اليعقوبي (رحمه الله) في النجف: العدد ٣ - ٤ من السنة الأولى سنة ١٩٦٤ ص ١٩٢.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٤١)

سمّتك أمك بنت الليث حيدرة  
أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا

### ولادة علي (عليه السلام) في الكعبة:

وقد بقي أثر الشق شاهداً للأجيال على أثر هذه الفضيلة، وإن حاول الحساد إخفاءها بكسوة الكعبة وترميم الشق ونحوه لكي لا يسأل عنه من يراه فتنتشر هذه الفضيلة. وهذا هو الإخفاء المادي، وهناك إخفاء بشكل آخر، إذ حاولوا أيضاً نسبتها (الولادة في الكعبة) إلى غير علي (عليه السلام)، فجاؤوا بإفك ينزه عنه بيت الله الحرام، فرووا عن مصعب بن عبد الله (وهؤلاء الزبيريون معروفون بحقدهم على أهل البيت (عليه السلام)) أن أم حكيم بن حزام (أحد الصحابة الذين أسلموا متأخراً)، وهي فاختة بنت زهير بن أسد بن عبد العزى كانت ولدت حكيماً في الكعبة وهي حامل، فضربها المخاض وهي في جوف الكعبة فولدت فيها، فحملت في نطع وغسل ما كان تحتها من الثياب عند حوض زمزم، ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد<sup>(١)</sup>.

---

(١) أنظر: المستدرک للحاکم النیسابوری: ج ٣ ص ٤٨٣، البداية والنهاية: ج ٨ ص ٧٤.

## (٤٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

فالراوي الحاقد لم يكتفِ بالتزوير، وإنما أيضا ينفِها عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ذكره الحاكم في المستدرک، وعلق عليه الحاكم قال: وهم مصعب الراوي في الحرف الأخير، فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في جوف الكعبة.

وتجد في كتاب الغدير للأميني روايات هذه المنقبة ومصادرها المتواترة من كتب العامة والخاصة ومن خلدها في شعره.

وهذه المنقبة وإن كانت تذكر لوليد الكعبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو لها أهل - فهو (عليه السلام) ولد في بيت الله الحرام واستشهد في بيت الله الحرام وسجل هذه الفضيلة كثير من الشعراء منهم المرحوم جدي الشيخ محمد علي اليعقوبي، إذ يقول:

بأول بيت جاء لله ساجداً

وفاز بلقياه برابع مسجد

إلا أننا ينبغي أن لا نغفل الطرف الآخر بها - فالكرامة ليست فقط للمولود وإنما للوالدة أيضاً، هذا الذي جعلنا نذكر هذه المرأة في مثل هذه المناسبة - وهي الوالدة

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٤٣)

الطاهرة الكريمة - فإن الله سبحانه وتعالى أذن لها في أن تلد داخل الكعبة المشرفة - على الله تعالى جليلة القدر.

### **فاطمه بنت أسد في الشعر:**

وممن سجل هذه اللفتة - ذكر الوالدة وليس فقط المولود - العلامة الجليل المرحوم السيد إسماعيل الشيرازي - ابن عم المرجع السيد الشيرازي الذي كان في سامراء صاحب فتوى التن المشهورة ووالد المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي أحد مراجع التقليد في النجف توفي سنة ١٩٦٢م، في قصيدته الميلادية التي ألقاها في حفل مهيب بين يدي السيد المجدد العظيم الشيرازي وجمع غفير من العلماء والأدباء في مدينة سامراء، عندما كانت يوم ذاك عاصمة العلم وكعبة الوفاء عندما انتقل إليها المجدد، وقد نقل إن السيد الشيرازي نفسه شغف بالقصيدة وأفتتن بها لما ألقيت، فقام وقعد واضعاً يديه على رأسه وهو يقول: إي والله ... إي والله، وأنا أذكر هنا بعض المقاطع منها لأحبي ذكرى هذه المرأة الجليلة ومولودها العظيم:

رغد العيش فزده رغدا بسلاف منك تشفي سقمي  
أنست نفسي من الكعبة نور مثلما أنس موسى نار طور

## (٤٤)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

يوم غشّى الملاء الأعلى سرور

شرع السمع نداء كندا شاطئ الوادي طوى من حرم  
ولدت شمس الضحى بدر التمام فانجلت عنا دياجير الظلام

ناد: يا بشراكم هذا غلام

وجهه فلقة بدر يهتدى بسنا أنواره في الظلم  
هذه فاطمة بنت أسد أقبلت تحمل لاهوت الأبد

فاسجدوا ذلاً له فيمن سجد

فله الأملاك خرت سجداً إذ تجلّى نوره في آدم  
هل درت أم العلى ما وضعت أم درت ثدي الهدى ما أرضعت

أم درت كف النهى ما رفعت

أم درى رب الحجى ما ولداً جلاً معناه فلمّا يعلم<sup>(١)</sup>

### معرفتها بالله تعالى:

هذه هي فاطمة بنت أسد ، اختارها الله تبارك وتعالى  
لتحتضن وتربي أعظم رجلين في تاريخ البشرية بل سادة الخلق  
أجمعين ، رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين  
(عليه السلام) ، كانت امرأة مؤمنة عارفة وعت علوم الأنبياء  
قبل الإسلام كزوجها أبي طالب ، ففي الكافي عن عبد الله بن

(١) توجد القصيدة في مقدمة كتاب المكاسب التي كتبها السيد محمد كلانتر (رحمه

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٤٥)

مسكان قال: قال أبو عبيد الله (عليه السلام): إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب تبشره بمولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبتاً (السبت ثلاثون سنة) أتيتك بمثله إلا النبوة<sup>(١)</sup>، وعن الصادق (عليه السلام) أنه قال: لما ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا، إنك تحبلين وتلددين بوصيه ووزيره<sup>(٢)</sup>.

وهذا قبل ذلك بثلاثين عاماً، فهذه العلوم كانت موجودة قبل النبوة وكان الأخبار والرهبان يتداولون هذه الأخبار.

### **كرست كل شيء لله تعالى:**

وكانت كثيرة العتق للعبيد حتى قبل البعثة فقد روي عن حكيم بن حزام قال: إنها أعتقت أربعين محرراً في الجاهلية، فسألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): هل لي فيهم أجر؟ - وهذا السؤال دليل على أن هذه المرأة تريد أن

(١) الكافي كتاب الحجّة باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ٤٥٢/١.

(٢) المصدر السابق: ٤٥٤/١.

## (٤٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

تكرس كل حياتها وكل أعمالها لطاعة الله - فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أسلمت على ما سبق لك من الخير<sup>(١)</sup>. وهذا شاهد آخر على توحيدها وإيمانها قبل البعثة، لأن العتق لا يثاب عليه الشخص إلا إذا نواه قربة إلى الله تعالى، فاستحقاقها للأجر على عملها السابق يعني صدوره قربة إلى الله تعالى، فكانت هي وخديجة بنت خويلد وآمنة بنت وهب وأبو طالب وعبد الله والد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجده عبد المطلب على دين إبراهيم (عليه السلام) وملته الحنيفية، لا ما يقوله الآخرون من أنهم كانوا مشركين وهو إسفاف بمقام النبي وآبائه.

روي أنه نزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد، ربك يقرئك السلام ويقول لك: إني حرمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك وعلى حجر كفلك<sup>(٢)</sup>، فأما الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب، وأما البطن الذي حملك فأمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فعبد مناف ابن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ١٩٠/٣.

(٢) الكافي: ٤٤٦/١.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٤٧)

**إيمان فاطمة بنت أسد دليل على إيمان أبي طالب؛**

بعد هذا كله لا نحتاج أن ندافع عن إيمان أبي طالب، أو أن نثبت أن فاطمة بنت أسد هي من السابقين للإسلام، وأنها الشخص الحادي عشر من السابقين للإسلام - كما يقول في مقاتل الطالبين - فإنهم قد ملئوا إيماناً قبل البعثة، فماذا تتوقع أن يكون موقفهم بعد أن صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإسلام وأعلن دعوته المباركة؟

ومن حسنات فاطمة بنت أسد أنها دليل دامغ على إيمان أبي طالب، يلقي الحجة البالغة على كل من شكك في ذلك، وبه احتج أمير المؤمنين (عليه السلام) حين سئل عن إسلام أبي طالب فقال (عليه السلام): وا عجباً، إن الله تعالى نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تنزل تحت أبي طالب حتى مات<sup>(١)</sup> - فلو كان أبو طالب مشركاً لفصل بينه وبين زوجته المؤمنة، فإبقاؤها عنده دليل إيمانه - ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن يجامل، فقد فرّق بين زينب (ابنته أو ربيته) وزوجها أبي العاص بن الربيع لأنه بقي على شركه.

(١) بحار الأنوار: ١٥٧/٣٥.

## (٤٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

### الذرية المباركة:

أنجبت فاطمة للإسلام ولله تبارك وتعالى ذرية طيبة  
نشرت كلمة الله تعالى وروت شجرة الإسلام بدمائهم، وأولهم  
ولدها المبارك أمير المؤمنين (عليه السلام)، وثانيهم أخوه جعفر  
الطيار شهيد مؤتة، واستشهد ولداه محمد وعون في معارك  
الإسلام الخالدة التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه  
 وآله وسلم)، وولدها الآخر وهو عقيل والد سفير الحسين  
(عليه السلام) مسلم بن عقيل.

وقد ارتبط اسم فاطمة بنت أسد بمعركة الطف، فإن  
جميع شهداء بني هاشم في معركة الطف وهم سبعة عشر كلهم  
ذريتها، ذكر ذلك الإمام الباقر (عليه السلام)، فقد ذكر عند  
الإمام الباقر (عليه السلام) قتل الحسين (عليه السلام)، فقال:  
(قتلوا سبعة عشر إنساناً كلهم ارتكض من بطن فاطمة بنت  
أسد أمّ علي (عليه السلام))<sup>(١)</sup>، وإلى هذا أشار الشاعر، قال:  
تسعة منهم لصلب علي

وثمان لجعفر وعقيل

### رعايتها لرسول الله ﷺ:

(١) مثير الأحزان: ص ٨٩.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٤٩)

اهتمت برعاية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ أن كفله زوجها أبو طالب بعد وفاة جده عبد المطلب وهو طفل صغير، وكانت تفضله على أولادها، شهد لها بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد روي - في كنز العمال - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إلي بعد أبي طالب، وأنه قال: (رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك وتطيبيني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة). ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله يا أرحم الراحمين)<sup>(١)</sup>.

وما كانت رعايتها له (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عاطفة، فإن المفروض أن تكون عاطفتها تجاه أولادها أقوى، بل كانت هذه الرعاية عن وعي وإدراك للمقام الرفيع الذي تبوءه هذا الرجل (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه.

### الهجرة الى المدينة:

---

(١) كنز العمال: ج ١٢ ص ١٤٧.

## (٥٠)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ولما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة وأمر علياً (عليه السلام) أن يلحقه بالفواطم (فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة الزهراء وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب) فخرج بهن أمير المؤمنين (عليه السلام) راجلاً، واعترضه عدد من فرسان قريش، فقتل أشجعهم (يسمى جناح) وتفرقوا عنه وأمه تنظر إليه وهي فخورة به، حتى وصلوا إلى المدينة بعد ذلك السفر المضني<sup>(١)</sup>، وكانت امرأة قد تجاوزت السبعين من العمر - لأن عمر طالب أكبر أبناءها كعمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين الهجرة، وهو ٥٣ عاماً، فلا أقل يكون عمرها ٧٠ سنة - ولم يقعداها عن أداء دورها كبر السن وقد تجاوزت السبعين وطول المسافة - حوالي أكثر من عشرة أيام - وصعوبة السفر والأخطار التي كانت تحيط بهذه السفرة، لأن قريشا بعد أن أفلت منها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن ترضى بأن تلحقه عائلته وفي وضح النهار وعلى مرأى منهم - لذلك تصدوا للإمام علي (عليه السلام).

### فضائل فاطمة بنت أسد:

---

(١) أنظر: مناقب ابن شهر آشوب: ج ١ ص ١٧٥.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٥١)

كانت امرأة ذات أذن واعية - كما يصف القرآن ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٢) - تتلقى العلم مباشرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد روي أنها (رضوان الله تعالى عليها) قالت: (سمعت رسول الله وهو يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا فقالت: واسوأته، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية. وسمعت يذکر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك)<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين عن الزبير بن العوام قال: (سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ..﴾ (المتحنة: ١٢) وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) <sup>(٢)</sup>.

### لنستلهم الدروس من فاطمة بنت أسد:

(١) ميزان الحكمة: ٤٥٣/٣.

(٢) تنبيه الغافلين: شرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤هـ)، ص ١٧٢.

## (٥٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ومن هذه السيرة المباركة تستطيع المرأة المسلمة أن تأخذ عدة دروس منها:

**أولاً: طلب العلم والمعرفة والسعي نحو الكمال،**  
فترى فاطمة تأخذ العلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة.

**ثانياً: تلبية نداء الدين وداعي الله - ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (الأحقاف: ٣١) -** مهما كان الثمن غالياً - وذكرنا شاهداً على ذلك هجرتها.

**ثالثاً: عدم الانسياق نحو العواطف وجعلها معيار**  
التفضيل في العلاقات، بل توزن الأمور بالتقوى، فتراها تفضل محمداً على أولادها، لأنه بالموازين الصحيحة أكرم وأجلّ منهم، فتقدمه (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم، بل تقدمه على أنفسها كما شهد لها رسول الله نفسه فيقول تجوع وتطعمني وتعري وتكسيني...

**رابعاً: العناية بالأسرة وتوثيق روابطها وبناءها بشكل**  
سليم، وهذا واضح من علاقتها بزوجها أبي طالب وأولادها النجباء.

**خامساً: عدم الانصياع وراء العرف والأتكيت**  
السائد، فرغم أن النساء في مجتمع قريش كان لهن أعراف وتقاليد معروفة، إلا أن فاطمة لم تتابعهم فيه إلا بمقدار ما

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٥٣)

ينسجم مع عقيدتها والسلوك الذي يرسمها لها الشرع المقدس سواء قبل الإسلام وبعده.

### **الاستشفاع بفاطمة بنت أسد:**

وقد حث الأئمة (عليهم السلام) على الاستشفاع بها؛ فعن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) ولي على رجل مال قد خفت فوته، فشكوت إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب وصلّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله - والد رسول الله - طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين، ثم ادعُ أن يرد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا، وإذا غريمي واقف بالباب يقول: يا داود حبستني، تعال اقبض مالك<sup>(١)</sup>.

### **قصة وفاتها:**

وقد تضمن حديث وفاتها الكثير من فضلها وعظيم منزلتها عند الله تعالى وعند رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الأنوار: ١١٢/٣٥.

## (٥٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وسلم)؛ فعن عبد الله بن عباس قال: أقبل علي بن أبي طالب ذات يوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باكياً وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي مه. فقال: يا رسول الله، ماتت أمي فاطمة بنت أسد، قال: فبكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: رحم الله أمك يا علي، أما إنها إن كانت لك أماً فقد كانت لي أماً، خذ عمامتي هذه، وخذ ثوبي هذين فكفنها فيهما، ولا تخرجها حتى أجيء فألي أمرها، قال: فأقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ساعة، وأخرجت فاطمة أم علي، فصلى عليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كبر عليها أربعين تكبيرة ثم دخل إلى القبر فتمدد فيه فلم يسمع له أنين ولا حركة، ثم قال: يا علي أدخل، يا حسن أدخل، فدخلوا القبر؟ فلما فرغ مما احتاج إليه من علي، قال: يا علي أخرج، يا حسن أخرج، ثم زحف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى صار عند رأسها ولقنها حجتها تفصيلاً، ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت ثم خرج من قبرها.. فقام إليه عمار بن ياسر فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله، لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، فقال: يا أبا اليقظان، وأهل لذلك هي، ولقد كان لها

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٥٥)

من أبي طالب ولد كثير، ولقد كان خيرهم كثيراً، ثم قال: فكانت تشبعتني وتجيّعهم (أي أولادها) وتكسوني وتعريهم وتدهنني وتشعثهم. فقال: - أي عمار - فلم كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله، قال نعم يا عمار، التفت عن يميني فظنرت إلى أربعين صفاً من الملائكة، فكبرت لكل صف تكبيرة، قال: فتمددت في القبر ولم تسمع لك أنين ولا حركة؟ قال: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة، فلم أزل أطلب إلى ربي عز وجل أن يبعثها ستيرة، ثم وصف (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أعد لها من المقام الكريم عند الله تبارك وتعالى، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفس محمد بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها ومصباحين من نور عند يديها ومصباحين من نور عند رجليها وملكيها الموكلين بقبرها يستغفرون لها إلى أن تقوم الساعة)<sup>(١)</sup>.

وفي علل الشرايع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفنها في قميصه، ونزل في قبرها وتمرغ في لحدها، فقبل له في ذلك - أي لماذا هذا - فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها (أبو

(١) بحار الأنوار: ٧٠/٣٥.

## (٥٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

طالب) فكانا يوسعان علي ويؤثراني على أولادهما، فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها<sup>(١)</sup>.

### **تحليل في تأريخ وفاتها:**

أما سنة وفاتها فلم يسجلها التاريخ، وترد أمامنا عدة احتمالات:

**الأول:** أنها توفيت قبل معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، ويؤيده أمور:

١ - أنها امرأة كبيرة تجاوزت السبعين وواجهت مشاق كثيرة في هجرتها، فلا يحتمل بقاؤها طويلاً.

٢ - أنه قد أسر ولدها عقيل في معركة بدر وفداه عمه العباس بن عبد المطلب، ولو كانت أمه حية لكان المناسب لأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إطلاق سراحه إكراماً لأمه كما أطلق ألد أعدائه النضر بن الحارث واستبقاه لصبيته.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة كتاب الطهارة، أبواب تحنيط الميت وتكفينه، باب ١٧،

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٥٧)

٣ - لم يرد ذكرها في حديث زواج علي وفاطمة الذي وقع غرة ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، وهو مشهد لا يفوتها.

**الثاني: أنها توفيت في نهاية السنة الثالثة أو بداية**

**الرابعة،** بدليل ورود اسم حفيدها الحسن (عليه السلام) في خبر وفاتها، وقد ولد في النصف من رمضان في السنة الثالثة، ولم يرد اسم الإمام الحسين (عليه السلام) المولود في الثالث من شعبان من السنة الرابعة، ويستبعد أن يكون حياً ولا يحضر وفاة جدته.

**الثالث: أنها توفيت بعد السنة السادسة للهجرة، لما**

ذكر من أنها أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول آية الممتحنة المتقدمة التي يشهد سياقها أنها نزلت بعد صلح الحديبية بين السنة السادسة والثامنة من الهجرة. وقد ورد في رواية علل الشرايع في حديث وفاتها (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم (عليها السلام)، وكانت مهاجرة مبايعة)<sup>(١)</sup>، فوصفها بالمبايعة يعني البيعة المذكورة، وليس طبعاً بيعة العقبة الأولى والثانية قبل الهجرة، فإنها خاصة بالأنصار.

(١) نفس المصدر السابق.

## (٥٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

والذي أميل إليه بحسب الوجدان هو الأول، مؤيداً بالظروف الموضوعية التي ذكرناها آنفاً، أما الرواية التي يستند إليها القولان الثاني والثالث فتحمل على وهم الراوي، إضافة إلى ضعف السند. ويبعد القول الثالث خاصة ما ورد في حديث وفاتها أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كبر عليها أربعين تكبيرة ولم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، فلا بد أن يكون ذلك قبل معركة أحد؛ فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى على حمزة الذي استشهد فيها بسبعين تكبيرة<sup>(١)</sup>.

أسأل الله تعالى أن نكون قد أدّينا بعض الحق لهذه المرأة العظيمة ولولدها المبارك أمير المؤمنين، ونسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) وسائل الشيعة كتاب الطهارة أبواب الصلاة والجنابة باب ٦/ج ٣.

مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٥٩)

(٦٠)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

### الفصل الرابع:

دروس من حياة السيدة زينب (عليها  
السلام)

مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٦١)

## (٦٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

المرأة تشارك الرجل في أهم قضايا الأمة<sup>(١)</sup>

ميراث العقيلة زينب (عليها السلام):

قال المرحوم السيد صالح الحلبي:

قد ورثت زينب من أمها كل الذي جرى عليها وصار

وزادت البنت على أمها من دارها تُهدى إلى شرّ دار

وقال المرحوم السيد رضا الهندي:

بأبي التي ورثت مصائب أمها

فغدت تقابلها بصبر أبيها

لم تلهو عن جمع العيال وحفظهم

بفراق أخوتها وفقد بنيتها

---

<sup>(١)</sup> من حديث سماحة الشيخ العفوي مع مواكب العزاء التي تجمعت في النجف الأشرف لتتطلق في مسيرة عزائية مشياً على الأقدام من الكوفة يوم الثلاثاء ١١/رجب/١٤٣٢ المصادف ٢٠١١/٦/١٤ إلى كربلاء المقدسة لإحياء ذكرى وفاة العقيلة زينب (سلام الله عليها) وزيارة النصف من رجب.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٦٣)

لم ترث العقيلة زينب (سلام الله عليها) سيدة البيت النبوي بعد أمها فاطمة (عليها السلام) سيدة نساء العالمين من أمها مصائب بالمعنى المتعارف بل ورثت مواقف خالدة يعجز أشجع الرجال وأشدهم صلابة عن تحملها.

### الأدوار الرسالية للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام):

كانت فاطمة سلوة أبيها (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في محنته وسنده الذي يأوي إليه خلال عمر الرسالة: تُؤنسه وتزيل عنه الهموم وتخفف عنه الآلام وهكذا كانت العقيلة زينب لأبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أمها فاطمة ولأخيها الحسين ولولده السجاد (عليه السلام).

هُجَّرت فاطمة قسراً من مكة مع أبيها (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأرغموها على مفارقة وطنها وأهلها، وهاجرت العقيلة زينب مع أخيها الحسين (عليه السلام) من مدينة جدهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى مكة ثم إلى العراق بسبب ظلم يزيد وتعقبه للإمام بالقتل.

شاركت الزهراء (عليها السلام) مع أبيها (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في ميادين الجهاد تضمِّد جراح أبيها وتمسح علق الدم عن ذي الفقار، سيف زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) أحد والأحزاب وكذا العقيلة زينب (عليها السلام) شهدت مع أخيها الحسين (عليه السلام) كربلاء، وما أدراك ما كربلاء وما تلاها.

## (٦٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وقفت الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (عليه السلام) تدافع عن إمامها أمير المؤمنين (عليه السلام) وتثبت الحق لأهله، وترد على الافتراءات بالحجج الدامغة، لتصحيح المسيرة وتحمي الدين وأهله من الضلال والانحراف، ووقفت العقيلة زينب (عليها السلام) في الكوفة والشام وكل مراحل السبي وألقت الخطب الرصينة لتفضح المدّعين لخلافة المسلمين زوراً، الذي لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم وانتهاك أعظم المقدسات ومنها قتل ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

### السيدة الزهراء والعقيلة زينب (عليهما السلام) في خط الدفاع عن الإمامة:

وصور المقارنة كثيرة، لكن الذي جرى على العقيلة في كل هذه المواقف أمضّ وآلم مما جرى على الزهراء (عليها السلام)، فإن الزهراء (عليها السلام) لم تُسبَّ من بلد إلى بلد تُهدى إلى شر خلق الله تعالى، وكانت حرمتها محفوظة عندما خرجت إلى المسجد، ولم تحرق خيامها وتفرّ في البيداء، وغيرها من المصائب التي صارت أعظم غصة في قلوب أهل البيت (عليهم السلام) وأشدها إيلاماً.

إن موقف الزهراء (عليها السلام) لم يكن يستطيع أحداً أن يؤديه حتى أمير المؤمنين (عليه السلام) لأن خصومه سيقولون عنه أنه شاب مغامر

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٦٥)

يهوى السلطة والنفوذ على مشايخ قومه فيخلطون الأوراق وتضيع الحقيقة، لكن الزهراء (عليها السلام) كانت فوق أي تهمة أو إشكال، وما ثبت حق أمير المؤمنين وإمامته بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو لا تلك النهضة الفاطمية المباركة.

وهكذا العقيلة زينب فإن مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) وأهداف حركته المباركة ما كانت لتعرف وتنتشر لولا خطب العقيلة زينب التي كانت غاية في المتانة والوضوح والحجة البالغة، فإن الإعلام الأموي كان من القوة والتأثير بدرجة تقلب الحقائق تماماً، وقد جعلوا من الحسين (عليه السلام) وأصحابه مجموعة من الخارجين على الدولة المتمردين على النظام المطالبين للشعب والفتنة فاستحقوا القتل، وهكذا تذهب دماؤهم هدراً في الصحراء حيث لا ناقل للحقيقة إلا الجيش الأموي الظالم المجرم.

إن قضية (الإمامة) والخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي أعظم قضايا الإسلام بعد التوحيد، وأخطرها وامضاها تأثيراً في الأمة تولّت بيانها وإرساء قواعدها، ونفي الزيف عنها امرأتان هما فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وابتنتها زينب عقيلة الهاشميين.

## (٦٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

والنتيجة التي نريد أن نصل إليها ان للمرأة دوراً لا يقلّ عن الرجل في التصدي لأخطر قضايا الأمة وأعظم التحديات التي تواجهها جنباً إلى جنب الرجل ، ولا تقعد بها همتها لمجرد أنها امرأة ، لكن طبعاً مع مراعاة الدور الذي يناسبها ، وساحة العمل التي تتحرك فيها.

### **تحديات المرأة في الواقع المعاصر: الطلاق نموذجاً:**

والمجتمع يواجه اليوم مشاكل وتحديات كثيرة يكون للمرأة دور مهم في مواجهتها كقضية تبليغ الأحكام الشرعية ونشر تعاليم مدرسة أهل البيت (عليه السلام) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس أمور دينهم ، فإن الجهل قد تفشى وخفيت على الناس خصوصاً النساء أكثر مسائل الحرام والحلال وضوحاً ، وفي ذلك مخالفة صريحة لما أَرَادَهُ اللهُ ورسوله والأئمة المعصومون (سلام الله عليهم أجمعين).

وللمرأة دور في إنقاذ المجتمع من مشاكله وعقده الاجتماعية ومنها ظاهرة الطلاق التي ازدادت بشكل مرعب في السنوات الأخيرة ، حيث تشير احصائيات بعض المحاكم إلى بلوغها نسبة ٣٠٪ أو ٤٠٪ أي أن ثلث حالات الزواج تقريباً تنتهي إلى الطلاق ، وهذه نتيجة مقلقة لأن الله تعالى يبغض الطلاق بقدر

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٦٧)

حبّه للزواج ، وقد جاء في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :  
(قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما بني بناء في الإسلام  
أحب إلى الله عز وجل من التزويج)<sup>(١)</sup> فالطلاق تهديم لأحب  
بناء إلى الله عز وجل ، وآثاره الاجتماعية السيئة على المجتمع  
وخصوصاً الأطفال مما لا يخفى على أحد.

فلا بد من حركة واسعة يشترك فيها الرجال والنساء ممن  
يغضبون لغضب الله تبارك وتعالى ، ويحبّون ما يحبه الله تعالى ،  
لإجراء استبيان شامل ومعرفة أسباب تزايد هذه الظاهرة ،  
ومنها ما يعود إلى ما قبل الزواج كعدم حسن الاختيار بسبب  
عدم ملاحظة العناصر الحقيقية لبناء زوجية صالحة سواء في  
الرجل حيث ورد الحديث (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه  
فزوجوه ، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)<sup>(٢)</sup> وورد  
في اختيار الزوجة عن النبي (صلى الله عليه وآله) (ما استفاد  
امرئ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره  
إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها ، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها  
وماله).<sup>(٣)</sup>

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب ١، ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب ٢٨، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب ٩، ح ١٠.

## (٦٨)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

أما بناء الزواج على المال الكثير أو الوظيفة الجيدة أو الجمال الظاهري من دون ملاحظة الدين وحسن الخلق والعفاف والمعدن الطيب والأسرة الكريمة فهو أصل المشاكل.

أما القسم الثاني من الأسباب فهو ما حصل بعد الزواج من سوء الاستغلال الرجل لقيومته على المرأة وتأثره بالتقاليد الاجتماعية من ضرورة التشديد على المرأة إلى حد الظلم. أما من جانب المرأة فقد يكون السبب عدم صبرها على ظروف زوجها وعدم تقديرها لحاله، أو المبالغة في بعض السلبيات أو نقل أخبار بيتها إلى أهلها وتدخلهم في شؤونها، أو اعتدادها بنفسها إلى حد التعالي على زوجها ونحوها من الأسباب.

وعلى أي حال فالقضية خطيرة وتستحق الكثير من الوقت للتأمل والدراسة والتشخيص ووضع الحلول، والسعي والحركة تشارك فيها قطاعات واسعة من الحوزة الدينية والقضاة والباحثين الاجتماعيين والنفسيين والأطباء وغيرهم.

وما أعظم أن يغضب الانسان لغضب الله تبارك وتعالى ويرضى لرضاه (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) (آل عمران / ١٩٥).

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٦٩)

ربيبة القرآن العقيلة زينب (رضي الله عنها) تعيد للأمة بصيرتها

### فقدان البصير سمة المجتمع غير الإيمانى:

يستفاد من القرآن الكريم أن من سمات المجتمع البعيد عن التربية الإيمانية هو فقدان البصيرة والقدرة على تمييز الحق من الباطل، وانقلاب موازين النظر عنده في الأمور كلها.

ولنأخذ مثلاً على ذلك حيث نجد المجتمع الجاهلي البعيد عن النظرة الإلهية يعيش لدياه ويراها غاية أمله فيصارع من أجل الاستزادة منها (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجناتية / ٢٤).

لكن المجتمع الرباني يعتقد بوجود الآخرة ويعمل لها لأنها الحياة الباقية، ويرى الحياة الدنيا مزرعة، قال تعالى (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت / ٦٤).

والمورد الآخر اغترارهم بما عندهم من قوة وإمكانيات مادية هائلة فيظنون أنهم الرب الأعلى المدبر لأُمور الناس (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِبُونَ) (الشعراء / ٤٤).

## (٧٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

أما المنطق الرباني فيؤكد حقيقة (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون / ٨) و (إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (البقرة / ١٦٥) ويصف أولئك المغرورين بأنهم (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت / ٤١).

### التحذير من فقدان البصيرة:

وقد حذر رسول الله (ﷺ) أمته من الرجوع إلى هذه الحالة بعد أن أنقذهم الله تعالى بالإسلام، ووقوعهم مرة ثانية في فتنة فقدان البصيرة وإنقلاب موازين النظر في الأمور واعتبرها (ﷺ) الحالة الأشد خطورة من وقوع المنكر والفساد نفسه، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال النبي (ﷺ): كيف بكم إذا فسدت نساءكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقليل له: ويكون ذلك يا رسول الله (ﷺ)؟ فقال: نعم وشرُّ من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقليل له يا رسول الله ويكون

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٧١)

ذلك؟ قال: نعم وشرُّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً.<sup>(١)</sup>

### تصحيح المفاهيم المقلوبة:

وقد وقعت الأمة في هذه الفتنة بعد رسول الله (ﷺ) وبلغت ذروتها في عهد يزيد بن معاوية، ولهذا كان من الأدوار المهمة التي أدتها ربيبة القرآن والنبوة والإمامة العقيلة زينب (عليها السلام) هي إعادة الأمة إلى وعيها وبصيرتها، وتصحيح موازين النظر عندها، ولتأخذ مثلاً على ذلك جانباً من خطابها، فقد كان يزيد وابن زياد وأزلامهم يعتقدون أنهم هم المنتصرون فأخذتهم سكرة الغلبة ونشوتها كما وصفتهم العقيلة زينب (فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جدلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا).

وتصبح مشكلة المفاهيم المقلوبة أخطر حينما تُستغل لخداع الناس وتُجعل دليلاً على شرعية حكم أولئك الطواغيت وسلطتهم، وهذا ما نبّهت إليه العقيلة زينب (صلوات الله

<sup>(١)</sup> وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي،

## (٧٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

عليها) (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا تُساق كما تُساق الإمام أن بنا على الله هوناً وبك عليه كرامة!! وأن ذلك لعظيم خطرِكَ عنده، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله عز وجل (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران / ١٧٨))<sup>(١)</sup>.

### السيدة زينب (عليها السلام) تبين من هو المنتصر الحقيقي:

فهي (سلام الله عليها) لم تكتفِ بالإدلاء بحقيقة أن هذا ملكنا وسلطاننا خاصة ونحن أحقّ بالأمر من هذا الظالم المدّعي، ولكن فضحت هذه الأساليب لخداع الناس بأن هؤلاء المتسلّطين هم أصحاب الحق، ولا يزال إلى اليوم من يمّوه على الناس ويكتسب شرعيته من كثرة الأتباع وشهرة العنوان وإغداق الأموال لفرض الأمر الواقع وإقناعهم بأن سلطته شرعية وإبعاد الحق عن أهله.

---

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ١٢٣، والبحار: ج ٤٥ ص ١٥٧.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٧٣)

فتواجه العقيلة زينب الطاغية يزيد بالحقيقة الدامغة وبيان المنتصر الحقيقي (فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحون ذكرنا، ولا تميت وحيننا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترخص عنك عارها. وهل رأيك إلا فند، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة)<sup>(١)</sup>.

ووقفت نفس الموقف في الكوفة أمام الطاغية عبيد الله بن زياد حينما قال شامتاً: (الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأبطل أحدوثتكم).

فتصدت له بشجاعة وبلاغة أخذتهما من أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلة: (الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة).

وحاول أن يغطي فشله وهزيمته بمزيد من الشماتة قائلاً: (كيف رأيت صنع الله بأخيك) فأجابت (سلام الله عليها): (ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى

---

(١) انظر: الاحتجاج: ج ٢ ص ١٢٣، والبحار: ج ٤٥

## (٧٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتخاصم ، فانظر لمن الفلح يومئذٍ ، ثكلتك أمك يا بن مرجانة<sup>(١)</sup> .

هكذا أعادت العقيلة زينب الأمور إلى نصابها وبيّنت من هو المنتصر الحقيقي وهزمت هؤلاء الطواغيت وجيوشهم الجرّارة التي غلبت بالسيف لكثها هُزمت بالبيان والحجة الدامغة فقلبت أفراحهم أحزاناً.

### علينا أن نستفيد من الدرس الزينبي:

وعلينا نحن أن نستفيد من هذا الدرس الزينبي ونُصحِّح جملة من المفاهيم والرؤى والنظريات التي أُريد بها خداع الناس وتسييرهم بالاتجاه الذي يريده أصحاب تلك الأجنداث الهدّامة ، ولنأخذ على ذلك مثلاً من عالم المرأة ممّا حاولوا به خداعها ودفعوها إلى ما يريدون من الانحلال والفساد ومزاحمة الرجال وترك وظيفتها الأساسية في بناء الأسرة الصالحة وتنشئة الجيل الصالح وهو شعار (المساواة).

### أبواق المساواة بين الرجل والمرأة:

---

(١) السابق.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٧٥)

فهل المساواة مطلب عقلائي؟ وتعبير آخر هل إن المساواة حق دائماً؟ والجواب هو النفي، نعم إذا كان المطلوب مساواة الرجل والمرأة بالاستحقاق والجزاء فهذا حق وقد كفله الشارع المقدّس (أَنْتِي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ) (آل عمران / ١٩٥) (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات / ١٣) سواء كان ذكراً أو أنثى.

### **فلسفة التمايز بين الرجل والمرأة:**

أما إذا أرادوا بالمساواة ماثلة المرأة للرجل في الوظائف والأعمال التي يؤديانها فهذا مطلبٌ غير عقلائي، بل فيه ظلمٌ للمرأة، لأن طبيعة خلقها وفسولوجيتها وسايكولوجيتها تنسجم مع وظائف غير ما كُلف به الرجل، فالمساواة هنا من الظلم وليس من العدالة، ومثله كمثل الطبيب الذي يعطي نوعاً واحداً من الدواء إلى مرضى متنوعين، وكالمدرّس الذي يعطي درجة واحدة لكل طلبته في الامتحان مع تفاوت إجاباتهم، وهذا هو الظلم بعينه والمطلوب تحقيق العدالة وهي قد تقتضي المساواة وقد لا تقتضي المساواة بحسب الموارد وهذا ما كفلته الشريعة المقدسة، فلو أعطينا للولد ميراثاً بقدر البنت لكان ظلماً، لأن

## (٧٦)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

الرجل هو الذي يصرف على المرأة ويكفل لها كل احتياجاتها فهي تشاركه في حصته ، ولا يشاركها في حصتها فكيف يتساويان في الاستحقاق.

فهذه المراعاة لتكوين كل من الرجل والمرأة وطبيعة وظائفهما مما تقتضيه الفطرة ، وجرت عليه سيرة العقلاء ، ويشهد به الواقع وخذ نماذج عشوائية من تركيبة مجتمعات الغرب المدعيّة للتحضّر وانظر هذه المراعاة ، كتشكيلة الحكومة أو عدد الطيارين أو عدد قادة الوحدات العسكرية وقيادات الجيش وانظر نسبة النساء إلى الرجال ستجدها ضئيلة فأين المساواة التي يريدون تسويقها إلينا؟

### **مصطلح سن اليأس:**

وبهذه المناسبة نشير إلى مصطلح متداول يخصّ المرأة وهو ((سنّ اليأس)) الذي يراد به عمر الخمسين للمرأة وتُسمى المرأة باليأس ، وهو قد يكون له منشأ صحيح حيث يحصل فيه اليأس من الإنجاب لانقطاع الدورة الشهرية ، إلا أنّ هذا العنوان أخذ على إطلاقه وكأنّه سن اليأس من الحياة ، مما ولّد شعوراً عندها بالإحباط وفقدان الأمل وأنها أصبحت لا قيمة لها وانتهى دورها في الحياة وأحيلت على التقاعد كما يُقال ،

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٧٧)

فتعثر بها أعراض نفسية وعصبية قد تفاقم المشكلة عليها ، وهذه الأعراض ليس لها أصلٌ فسيولوجي أو عضوي كما يشهد به الأطباء ، أي أن بلوغ المرأة هذا العمر لا يصاحبه أي تغيير في جسمها يقتضي هذه الأعراض ، وإنما هي نتائج صنعتها المرأة بنفسها بسبب ذلك الشعور الذي غذاه المصطلح البائس .

فالأليق أن يُسمى هذا العمر للمرأة (سن الكمال والنضج وتمام الرشد) لاكتمال تجربة المرأة في الحياة بعد أن تكون قد ربّت جيلاً كاملاً وتعلّمت الكثير ، وهو سن التفرغ لنفسها ولآخرتها ولزوجها بعد أن انتهت من وظائف الحمل والإنجاب والتربية ، وشبّ أبنائها وبناتها فهم يعينونها على قضاء حوائجها فهذا العمر فرصة ثمرة لكي يجتمع الزوجان من جديد على حياة زوجية يتفرغان لبعضهما ويلتفتان لآخرتهما وينشغلان لما يقربهما إلى الله تعالى من الطاعات والقربات مما لم تكن مشاغلهما السابقة تسمح لهما بها ، كالسفر لأداء الحج والعمرة وزيارة المعصومين (صلوات الله عليهم) والصلاة المستحبة والصوم وقضاء ما فات ومطالعة الكتب ، والمساهمة في الأعمال الخيرية والتبليغ الديني والوعظ والإرشاد وغيرها من فرص الكمال .

(٧٨)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

---

الفصل الخامس:

انتصاراً لأمر البنين

هل كان للخنساء أربعة بنين استشهدوا في

معركة القادسية

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٧٩)

### انتصاراً لأمر البنين

هل كان للخنساء أربعين بنين استشهاداً في معركة  
القادسية<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

#### كلمة لا بد منها: □

كتبت هذا التحقيق قبل اثنتي عشرة سنة يوم كان كل زادي من العلم هو المطالعات في الكتب المختلفة إذ لم يتم انتمائي حينئذ إلى الحوزة العلمية الشريفة فعلاً، وقد ارتأيت أن أبقيه على حاله لأمرين:

١ - لكي يبقى تذكراً لتلك الفترة من حياتي، وقد جُبلَ الإنسان على حب ذكرياته التعلق بها والاحتفاظ بكل ما يمت إلى ماضيه بصلة.

---

(١) نشر بتاريخ: ١١ صفر ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٥/٢٧ م.

وتحقيق سماحة الشيخ (دام ظلّه الشريف) في هذه القضية التاريخية كتب عام ١٩٨٧ ولم يُنشر في حينه، وقد اطلع عليه يومئذٍ عدد من العلماء وأثنوا عليه، كالسيد الشهيد الصدر الثاني والعلامة السيد محيي الدين الغريفي (قدس الله روحيهما).

## (٨٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

٢ - إن إعادة النظر فيه وإصلاح ما ينبغي إصلاحه يتطلب جهداً أنا محتاج إلى صرفه في أولوياتي الأخرى.

وأعتقد أن مجموع هذين الأمرين مبرر كافٍ لإصدار البحث على حاله.

وهذا لا يعني ضعفاً في مستواه، فأنا مقتنع الآن بأنه تحقيق نافع يكشف الستار عن كذب واحدة من الروايات التاريخية المشهورة ليفتح الباب واسعاً أمام المحققين لإعادة النظر في كثير من القضايا الموروثة وإن اكتسبت رسوخاً و قدسية ليتتصف المظلوم ويعود الحق إلى نصابه.

وليست هذه المحاولة بأقل عمقاً من المستوى الذي كتبت به أمثالها (كمائة وخمسون صحابي مختلف) ونظائره وفيه جهدٌ لا يستهان به.

نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدي علمائنا ومفكرينا و مثقفينا ويهديهم إلى ما فيه نفع الأمة وصلاحها وتشخيص أدوائها ودوائها، إنه نعم الموفق ونعم المستعان.

### المقدمة:

امتدت يد التحريف إلى مختلف العلوم الإسلامية تعصباً لمذهب أو حقداً على آخر وكيداً له أو ملقاً لذي مال أو

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٨١)

جاه ونحوها، وكان التاريخ الإسلامي أحد المجالات الخصبية لهؤلاء المحرفين، ورغم أن الحقائق التاريخية لا بد أن تظهر لأن التلفيق والتزوير لا يصمد أمام التحقيق والتمحيص إلا إن بعضاً من هذا الكذب ظل متخفياً بلباس الشهرة وكثرة التداول (و رب مشهور لا أصل له) إلى أن تجند الأمانة العلمية والحقائق التاريخية من يميز الغث من السمين، وعندئذ يذهب الزبد جفاء أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولا أدري كيف سرى لي الشك والقدرح في صحة الرواية عنوان البحث، إلا أنني وفي إحدى لحظات التأمل ألهمت أن الرواية موضوعة وأن لا مقليل لها من الصحة، فطفقت أبحث وأنقب في كتب التاريخ والرجال والحديث عن متن الرواية وسندها ... فماذا وجدت؟! وجدت رجال الرواية بين كذاب ووضّاع ومنكر الحديث ومجهول، وفي أحسن الأحوال تساوت فيه أحاديث الجرح والتعديل.

وأما متن الرواية فمضطرب، ويتعارض مع نفسه ومع حقائق أخرى تتصل به. ومالي استعجل ذكر النتيجة، وبين يدي القارئ تمام ما توصلت إليه من بحث وتنقيب ليتولى الحكم بنفسه.

## (٨٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وقد يتفق القارئ معي على صحة ما توصلت إليه ، لكنه لا يقبل التصديق بأن الرواية موضوعة لشهرتها ولعدم سماع ما يقدر فيها ، لكن ما العمل والخطب جليل والحقيقة العلمية يجب أن نقبلها وإن لم تجد في أنفسنا هوى وقبول ، ثم ألم تسمع أو تقرأ ما احتوى عليه التاريخ من خلط الحابل بالنابل وتبديل الكذب صدقاً والصدق كذباً؟ ويكفي أن تعلم أن من بين صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مائة وخمسين صحابياً مختلفاً<sup>(١)</sup> بكل تفاصيل سيرتهم ، وهذا الرقم يمثل ما توصل إليه مؤلف هذا الكتاب فقط ، وإن مجموع بعض الروايات الموضوعة والمقلوبة والتي اتفق على كذبها بلغ أكثر من أربعمئة ألف حديث<sup>(٢)</sup> ، وقد عدّ العلامة الأميني (قدس سره) سبعمئة راوٍ ومحدث من المتفق على افتراءهم<sup>(٣)</sup> ، وهذه نماذج لما احتوت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي من مفتريات وأباطيل نسجها الوضاعون والكذابون تحت أغراض شتى .

والرواية عنوان البحث إن صحت تمثل جانباً مشرقاً من حياة المسلمين وموقفاً بطولياً مليئاً بالإيمان والتضحية في سبيل المبادئ الحقّة هو ليس الوحيد... ولئن تطرق الشك إلى

(١) عنوان كتاب للسيد مرتضى العسكري.

(٢) الغدير للعلامة الأميني مج ٥ ص ٢٩٠ .

(٣) الغدير مج ٥ ص ٢٠٩-٢٧٥ .

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٨٣)

صحة وقوعه، فله نظير متفق عليه، ذلك هو إيثار أم البنين بنت حزام<sup>(١)</sup> الكلاية زوج أمير المؤمنين (عليه السلام) وتفانيها في سبيل المبدأ حين استشهد لها أربعة بنين أحدهم أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) بين يدي أخيهم الحسين (عليه السلام) في معركة الطف يوم عاشوراء، لكن التأريخ ولأسباب غير مجهولة تناسى هذا الموقف العظيم وصاغ من خيالات الوضعين والكذابين ما يشابهه حنقاً وغيظاً لئلا ينسب الفضل إلى أهله ولكن يريدون أن يطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره محرفو الكلم عن مواضعه.

وإليكم نص الرواية مع مناقشة سندها ومتنها وليعط الحاكم النَّصْف من نفسه والله من ورائهم شهيد.

### نص الرواية:

في الاستيعاب لابن عبد البر<sup>(٢)</sup> في ترجمة الخنساء، وفي الإصابة لابن حجر<sup>(٣)</sup> جمعاً بين النصين:  
(ذكر الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن المخزومي وهو المعروف بابن زباله أحد المتروكين عن عبد الرحمن بن عبد الله

(١) أو حرام على خلاف وتام التحقيق في كتابنا المخطوط عن أم البنين .

(٢) المطبوع هامش الإصابة لابن حجر مج ٤ ص ٢٩٥ .

(٣) مج ٤ ص ٢٨٧ كتاب النساء، حرف الخاء من القسم الأول .

## (٨٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

عن أبيه عن أبي وجزة عن أبيه قال: حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من أول الليل: يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، فإن أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها واضطربت لظى على سياقها وجللت ناراً على أرواقها فتيّموا وطيسها وجالدوا رسيسها عند احتدام وطيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة، فخرجوا قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وانشأ أولهم يقول:

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٨٥)

يا أخوتنا إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة

وإنما تلقون عند الصائحة من آل ساسان الكلاب النابجة

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وانتم بين حياة صالحة

أو ميتة تورث غنماً رابجة

وتقدم فقاتل حتى قتل (رحمه الله)، ثم حمل الثاني

وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلدٍ والنظر الأوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبراً بالولد

فباكروا الحرب حماة في العدد إما لفوزٍ بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم عزَّ الأبد في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد، ثم حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفاً قد أمرتنا حرباً وعطفاً

نصحاً وبراً صادقاً ولطفاً فبادروا الحرب الضروس زحفاً

## (٨٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

حتى تلفوا آل كسرى لفاً أو يكشفوكم عن حماكم كشفا  
إننا نرى التقصير عنكم ضعفاً والقتل فيكم نجدة وزلفا

فقاتل حتى أستشهد، ثم حمل الرابع وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخرم  
ولا لعمرو ذي السناء الأقدم  
إن لم أرد في جيش جيش الأعجم  
ماضٍ على الهول خضمّ خضرم  
إما لفوز عاجل ومغنم  
أو لوفاة في السبيل الأكرم

فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه وعلى أخوته، فبلغها  
الخبر، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي  
أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

### **مناقشة السند:**

رجال السند ستة وهم:

- ١ - الزبير بن بكار .
- ٢ - محمد بن الحسن المخزومي المعروف بابن زبالة .
- ٣ - عبد الرحمن بن عبد الله العمري .

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٨٧)

- ٤ - أبو عبد الرحمن عبد الله العمري .
- ٥ - أبو وجزة السعدي الشاعر .
- ٦ - أبو أبي وجزة .

### ١- الزبير بن بكار؛

في ميزان الاعتدال للذهبي<sup>(١)</sup> : الإمام صاحب النسب قاضي مكة من أوعية العلم ، لا يلتفت إلى قول أحمد بن علي السليماني حيث ذكره في عداد من يضع الحديث .  
وقال مرة : منكر الحديث .

وفي الجرح والتعديل للرازي<sup>(٢)</sup> : الزبير بن بكار : رأيته ولم أكتب عنه . وفي تهذيب التهذيب لابن حجر<sup>(٣)</sup> : قال ابن أبي حاتم كتب عنه أبي بمكة ورأيته ولم أكتب عنه ، وقال أحمد بن علي السليماني في كتاب الضعفاء له كان منكر الحديث وهذا جرح مردود ، ولعله استنكر إكثاره عن الضعفاء مثل محمد بن الحسن بن زباله المخزومي ؛ فإن في كتاب النسب عن هؤلاء أشياء كثيرة منكرة .

---

(١) مج ٢ ص ٦٦ عدد، ٢٨٣ .

(٢) مج ٣ ص ٥٨٥ .

(٣) ج ٢ ص ٣١٢ .

## (٨٨)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

### ٢- محمد بن الحسن المخزومي:

في تهذيب التهذيب لابن حجر<sup>(١)</sup>: محمد بن الحسن بن زباله وهو أبو الحسن المخزومي المدني، عن ابن معين أنه كذاب خبيث لم يكن بثقة ولا مأمون يسرق، قال أحمد بن صالح المصري كتبت عنه مائة ألف حديث ثم تبين لي أنه كان يضع الحديث فتركت حديثه، وقال الأجرى عن أبي داود: كذابا المدينة محمد بن الحسن بن زباله ووهب أبو البخري، وقال الدارقطني: متروك.

وقال ابن حبان: كان يروي عن الثقات ما لم يسمع منهم، وقال الخليلي: روى عن مالك مناكير وهو ضعيف، وفي الجرح والتعديل للرازي<sup>(٢)</sup>: محمد بن الحسن المخزومي ذاهب الحديث منكر الحديث، ومرَّ بك في متن الرواية قول ابن حجر عند نقله لها عن المخزومي بأنه أحد المتروكين، وفي الغدير للأميني<sup>(٣)</sup>: كذاب متروك واهي الحديث نسب إلى وضع الحديث، وفيه أيضاً<sup>(٤)</sup>: ابن زباله: قال الحافظ أحمد بن صالح

(١) ج ٩ ص ١١٥.

(٢) ج ٧ ص ٢٢٨.

(٣) ج ٥ ص ٢٥٦ عن مجمع الزوائد للهيتمي ٣٠٦/١ واللاليء المصنوعة للسيوطي .٧١/٢

(٤) ج ٥ ص ٢٧٣ عن تاريخ الخطيب البغدادي ٢٠٠/٤.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٨٩)

كُتبت عنه مئة ألف حديث ثم تبين لي انه كان يضع الحديث فتركت حديثه.

### ٣- عبد الرحمن بن عبد الله:

عُثرت على أسماء كثيرة تحت هذا العنوان، فاتبعت عدة نقاط لمعرفة الراوي المقصود، وهي:

- ١ - تتبع أسماء من يروى عنهم ومن يروون عنه.
- ٢ - ملاحظة الزمن وتاريخ حياته وعدد الوسائط.
- ٣ - أن يكون أبو الراوي راوياً، حيث ورد في السند أنه ينقلها عن أبيه.

فانطبقت هذه المواصفات على عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري المدني.

في ميزان الاعتدال للذهبي<sup>(١)</sup>: عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري المدني هالك، قال يحيى بن معين سمعت منه مجلساً وهو ضعيف، وقال أحمد: ليس يسوى حديثه شيئاً، سمعت منه ثم تركناه، أحاديثه مناكير وكان كذاباً فمزقت حديثه، وقال النسائي: متروك، قال ابن عدي: عامة ما يرويه مناكير أما متناً وأما إسناداً، وفي الجرح والتعديل

---

(١) مج ٢ ص ٥٧١ ترجمة ٤٩٠٠.

## (٩٠)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

للرازي<sup>(١)</sup> : عبد الرحمن بن عبد الله العمري متروك الحديث كان يكذب.

وفي تهذيب التهذيب<sup>(٢)</sup> : عبد الرحمن بن عبد الله العمري ، قال أبو طالب عن أحمد : ليس بشيء ، وقد سمعت منه ومزقته وكان يقلب حديث نافع عن ابن عمر ، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه : أحاديثه مناكير كان كذاباً ، وقال الجوزجاني : القاسم وعبد الرحمن العمريان منكرًا الحديث جداً.

وفي الغدير للأميني<sup>(٣)</sup> : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العدوي كان كذاباً يقلب الاحاديث ، متروك الحديث حديثه أحاديث مناكير ، كان كذاباً متروكاً لا يحتاج به .

### ٤- عبد الله بن عمر بن حفص العمري

المدني:

في ميزان الاعتدال للذهبي<sup>(٤)</sup> : عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني أخو عبيد

(١) ج ٥ ص ٢٥٣ .

(٢) ج ٦ ص ٢١٣ .

(٣) ج ٥ ص ٢٣٦ عن تاريخ الخطيب البغدادي ٢٣١/١٠ ونصب الراية للزيلعي الحنفي . ٦٠/١ .

(٤) مج ٢ ص ٤٦٥ ترجمة ٤٤٧٢ .

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٩١)

الله، صدوق في حفظه شيء، روى عن نافع وجماعة، وقال ابن المديني: عبد الله ضعيف، وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الأخبار وجودة الحفظ للأثار فلما فحش خطأه استحق الترك، مات سنة ١٣٧ هـ.

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر<sup>(١)</sup>: قال ابن حبان كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن الضبط فأستحق الترك، وقال الترمذي في العلل الكبير عن البخاري: ذاهب لا أروي عنه شيئاً، وقال البخاري في التاريخ: كان يحيى بن سعيد يضعفه، وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وقال المروزي ذكره فلم يرضه.

### ٥- أبو وجزة:

في تهذيب التهذيب<sup>(٢)</sup>: أبو وجزة اسمه يزيد بن عبيد المدني أبو وجزة السعدي الشاعر، وقال<sup>(٣)</sup>: مات سنة ١٣٠ هـ وهو ثقة قليل الحديث شاعراً عالماً، وفي الجرح والتعديل

---

(١) ج ٥ ص ٣٢٦.

(٢) قسم الكنى ج ١٢ ص ٢٧١.

(٣) ج ١١ ص ٣٤٩.

## (٩٢) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

للرازي<sup>(١)</sup> : أبو وجزة السعدي كان شاعراً لم يذكر أباه في من روى عنه.

### ٦- أبو أبي وجزة:

يفترض أن اسمه عبيد المدني السعدي - من اسم ابنه أبي وجزة - ولا يوجد أحد بهذا الاسم في معاجم الرجال ، نعم هناك ذكر لجد أبي وجزة ويكنى بأبي وجزة أيضاً ، قال ابن حجر<sup>(٢)</sup> : له إدراك ، وقال ابن عساكر : أظنه جد أبي وجزة الشاعر.

### استنتاج:

بعد سير أحوال رجال السند يتضح لنا أن أكثرهم كذاب وضاع متروك الحديث أو مجهول ، وفي أحسن الأحوال تساوت فيه أقوال الجرح والتعديل ، وإن وجود أحدهم كابن زباله المخزومي يكفي لطرح الرواية وإهمالها .  
والآن هلموا معي لمناقشة المتن وأمور تتعلق به تحت عناوين منفصلة ، والله المسدد :

(١) ج ٩ ص ٢٧٩ وفي ميزان الاعتدال للذهبي (ج ٤ ص ٤٣٤) أبو وجزة السعدي مقل سكتوا عن توثيقه وتضعيفه روى عن عمر بن أبي سلمة والظاهر انه لم يسمع منه فقد اخرج النسائي له عن رجل عن عمر ( وهذا هو التدليس ) .

(٢) الإصابة مج ٤ ص ٢١٨ قسم الكنى .

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٩٣)

### مناقشة المتن:

١ - لم يكن للخنساء أربعة بنين من زوج واحد كما تنص الرواية ؛ فقد ولد لها من زوجها الأول وهو رواحة بن عبد العزى السلمي ولدها الأكبر عبد الله وهو أبو شجرة، ولها من زوجها الثاني مرداس بن أبي عامر السلمي ثلاثة بنين و بنت واحدة، وقد اختلف في أسمائهم، فقيل: معاوية ويزيد وعمراً وعمرة<sup>(١)</sup>، وقيل: سراقه وحزن وعمرو<sup>(٢)</sup>، أما العباس بن مرداس فهو ابن زوجها وعليه أكثر المؤرخين وأهل التراجم الأولين، حتى إن ابن قتيبة جعل العباس متقدماً زمنياً على الخنساء<sup>(٣)</sup>، وللعباس أخ من غير الخنساء اسمه شدّاد له قصة مع أخته عمرة<sup>(٤)</sup>، أما من قال أنه ابن الخنساء فلجهله بأن الخنساء تزوجت اثنين أحدهما مرداس الذي كان قد تزوج قبل الخنساء، وكانت عمرة أخت العباس لأبيه تحب أخاها، كما كانت أمها الخنساء تحب أخاها لأبيها صخرأ، ولما مات العباس رثته أخته عمرة بأبيات منها:

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤٣/١.

(٢) الفرائد الغوالي للجواهري: مج ٧ ص ١٧.

(٣) الشعر والشعراء ٣٠٠/١، ٣٤٣/١.

(٤) الخنساء شاعرة بني سليم للدكتور محمد جابر عبد العال الجبني ص ٧٨، الفرائد

الغوالي ج ٣ ص ١٤٠.

(٥) الخنساء شاعرة بني سليم، للجبني، ص ٩٧.

## (٩٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

لتبك ابن مرداسٍ على ما عراهمُ  
عشيرته إذ حمَّ أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهمُ  
فكان إليها فصلها وحلالها

ومعضلة للحاملين كفيتها  
إذا أنهكت هوج الرياح طلالها<sup>(٥)</sup>

٢ - إن أبناء الخنساء توفوا أو قتلوا في تواريخ مختلفة  
وفي غير معركة القادسية التي حدثت سنة ١٤ هـ .

فالعباس - على فرض أنه ابن الخنساء - توفي سنة  
١٨ في بادية البصرة<sup>(١)</sup>، ويزيد قتل أخذاً بثأر قيس بن الأسلت،  
ولشقيقته عمرة شعر في رثائه منه قولها:

أجدُّ ابن أُمِّي أن لا يؤوبا؟ وكان ابن أُمِّي جليداً نجيباً  
تقيّاً نقيّاً رحيب المقام كميّاً صليياً خطيباً<sup>(٢)</sup>  
حليماً أريباً إذا ما بدا سديد المقالة صلباً دريباً

(١) الإعلام للزركلي ٣٩/٤ عن الاصابة وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب والشعر والشعراء وغيرها.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٩٥)

٤ - إن أبا شجرة وهو ابن الخنساء من زوجها الأول كان ممن ارتدَّ عن الإسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول الطبري في تأريخه<sup>(١)</sup>: وقد كان لحق فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة، أبو شجرة بن عبد العزى وهو ابن الخنساء. وذكر له أبياتاً من الشعر هي:

صحا القلب عن ميِّ هواه وأقصرا  
وطاوع فيها العاذلين فأبصرا  
وأصبح أدنى رائد الجهل والصبأ  
كما ودَّها عنا كذاك تغيرأ  
وأصبح أدنى رائد الوصل منهمُ  
كما حبلها من حبلنا قد تبترأ  
ألا أيها المدلي بكثرة قومهِ  
وحظك منهم أن تضام وتقهرأ  
سل الناس عنا كل يوم كرهية  
إذا ما التقينا دارعين وحسراً

(١) حوادث سنة ١١ هـ، ج ٣ ص ٢٣٥ طبعة بيروت.

## (٩٦) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

أنسنا نعاطي ذا الطماع لجامه

ونظعن في الهيجا إذا الموت أقفرا

وعارضة شهباء تخطر بالقنا

ترى البلق في حافاتها والسنورا

فرويت رمحي من كتيبة خالد

وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

ويظهر من هذه الأبيات إن أبا شجرة يحمل حقداً وحقناً على الإسلام شديداً، وأنه شفى غيظه منهم ويرجو باستهزاء أن يعمر أكثر ليلغ أكثر من دمائهم، يقول الطبري عقب هذه الأبيات بأنه أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس، رغم أنه ذيل كلامه هذا مما لا ينسجم معه، إلا أن نقول أنه أسلم مكرها بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت، يقول الطبري ما ملخصه: إن أبا شجرة أتى عمر بن الخطاب وهو يعطي المساكين من الصدقة، فقال: يا أمير المؤمنين اعطني فإني ذو حاجة. قال: ومن أنت؟ قال: أنا أبو شجرة بن عبد العزى، قال: أبو شجرة أي عدو الله ألسنت الذي تقول:

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٩٧)

فرويت رمحي من كتيبة خالدٍ وإنني لأرجو بعدها أن أعمراً

قال ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه ،  
فرجع إلى ناقته فارتحلها ثم أسندها في حرة شوران راجعاً إلى  
أرض بني سليم ، فقال :

ضنّ علينا أبو حفص بنائله  
وكل محتبطٍ يوماً له ورقٌ

ما زال يرهقني حتى خذيت له  
وحال من دون بعض الرغبة الشفقُ

لما رهبت أبا حفص وشرطته  
والشيخ يفرع أحياناً فينحمقُ  
إلى آخر الأبيات.

فمتى أسلم وحسن إسلامه حتى يبلي البلاء الحسن  
في معارك الفتح الإسلامي ، ويستشهد في معركة القادسية التي  
حدثت في أوائل خلافة عمر.

## (٩٨) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

٤ - لا وجود للرواية في كتب الأقدمين ، سواء منها كتب التراجم والسير أو كتب التاريخ المطولة منها والمختصرة ، رغم أن خبراً كهذا يطير صيته ولا يغفل عنه مسجلو الحقائق ، وانفرد بذكرها الزبير بن بكار عن رواته المجهولين الكذابين الوضاعين.

٥ - لو صحَّ هذا الخبر لكان أحرى بالخنساء أن تمجده وتسجله في شعرها بدلاً من أن تبقى راثية أخويها اللذين قتلوا في الجاهلية : صخر ومعاوية ، ولها نظم فيهما متأخر عن معركة القادسية<sup>(١)</sup> .

٦ - إن صبغة التصنع والتكلف بادية على الوصية خصوصاً في جزئها الأخير ، وما أشبهها بصناعة القصاصين وأهل المقامات الذين راج سوقهم في العصر العباسي .

٧ - أثناء بحثي هذا في مصادر الكتب وجدت اثنين من الكتاب المتأخرين ، وهما الدكتورة بنت الشاطئ والدكتور محمد جابر عبد العال الجبني يشككان في صحة الرواية ، أما بنت الشاطئ فتشكك في صحة صدور وصية الخنساء لبنيتها ، وأما الجبني فإنه يتهم الرواية كلها بالوضع ، وأنا أسجل ما قالوا محتفظاً لهما بما توصلا إليه .

(١) ديوان الخنساء ص ١٢٦، ١٠٣ وغيرها.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (٩٩)

تقول الدكتورة بنت الشاطي<sup>(١)</sup>: (والرواة مجتمعون على أن عددهم أربعة وإن لم يحددوا بالضبط أسماءهم، وحين نحاول هذا يلقانا عنت من اضطراب الروايات؛ فابن قتيبة (الشعر والشعراء: ١ / ٣٠١) يذكر أنها ولدت لمرداس ثلاثة بنين: زياداً ومعاوية وعمراً وبنثاً واحدة، فهل كان رابعهم أباً شجرة ابن عبد العزى وقد تاب من الردة، لكن الخنساء تقول في وصيتها لهم: إنكم بنو أب واحد وأم واحدة، فالأربعة إذن أشقاء، وقد نجد مخلصاً في اتهام هذه الوصية بالوضع وإنها في الحق لظاهرة التكلف، لكننا لا نملك أن نقطع هنا باليقين).

ويقول الدكتور الجبني<sup>(٢)</sup>: (ذهبت القصص عن الخنساء أنها رافقت بنيتها الأربعة حين ضرب البعث على المسلمين، فذهبت معهم وأوصتهم في وقعة القادسية، وهذه الوصية ترد في المصادر على ثلاثة ألوان، أما مشاراً إليها كما نرى في تاج العروس الذي يقول (وروي أنها شهدت القادسية ومعها أربعة بنين فلم تنزل تحضهم بكلام فصيح، فأبلاوا بلاء حسناً واستشهدوا، فكان عمر رضي الله عنه يعطيها أرزاقهم).

(١) الخنساء ص ٤٠ نقلناها بواسطة كتاب (الخنساء شاعرة بني سليم) للجبني ص ٧٦.

(٢) الخنساء شاعرة بني سليم للجبني ص ٨٧-٨٩.

## (١٠٠) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

وأما باختلاف في النص ، كما أورد صاحب أعلام النساء (ج ١ ص ٣١٣ و ص ٣١٤ و ص ٣١٥) الذي اختلف مع غيره ، فلم يذكر أنهم بنو أب واحد وأم واحدة واتفق مع الآخرين بعد ذلك ، ولعله أسقط القول بأنهم بنو أب واحد لعلمه بان أحدهم - وهو أبو شجرة - من أب والباقون من أب آخر.

وأما اختلاف بحذف بعضها ، كاختلاف ابن حجر الذي قدّم وأخر في بعض العبارات وجاء بالوصية مختصرة ، فإذا تغاضينا عن هذا الاختلاف السطحي ، لأنه لا يسقط النص ، وجدنا صاحبة الدر المثور تتفق مع ناشر ديوان الخنساء ص ١١ في نص الوصية (في ص ١١١) وهي كما يوردها على الوجه الآتي : (وكان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين بفتح فارس صارت معهم وهم رجال ، وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هـ<sup>(١)</sup> سنة ٦٣٨ م ، وأوصتهم من الليل بقولها : يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا الله هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها

---

<sup>(١)</sup> وهذا وهم لأن القادسية حدثت سنة ١٤ هـ كما في تأريخ الطبري وغيره.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٠١)

وجللت ناراً على أرواقها فتيمنوا وطيسها وجالدوا رسيسها  
تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة).

فلما أضاء لهم الصبح باكروا إلى مراكزهم فتقدموا  
واحداً بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز  
لهم ، حتى قتلوا عن آخرهم ، فبلغ الخبر إليها فقالت :

(الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن  
يجمعني بهم في مستقر الرحمة).

وأنا أتفق مع الدكتورة بنت الشاطئ على أن هذه  
الوصية ظاهرة التكلف ، وأضيف إنها لو كانت صحيحة لما  
غفل القدماء عن ذكرها أو الإشارة إليها على الأقل ، وإذا  
عرفنا بعد ذلك أن من رواها محمد بن الحسن المخزومي  
المعروف بابن زباله الذي نص ابن حجر في الإصابة (ج ٨  
ص ٦٧) على أنه أحد المتروكين رجح لدينا أنها موضوعة وأن  
واضعها يتميز بأمرين واضحين : أحدهما : جهله بتاريخ  
الخنساء أنها تزوجت اثنين ، ولدت أكبر بنيتها من رواحة بن عبد  
العزى والباقي من مرداس بن أبي عامر وجهله أيضاً : بتاريخ  
أكبر بنيتها ، فإنه أسلم وارتد ولم يعد إليه إلا مرغماً بعد أن  
ضاعت الدنيا في وجهه ، فعاد معلناً التوبة ، وذلك واضح من  
تأريخ أبي شجرة عبد الله الذي ذكره الطبري في أحداث سنة  
(١١). انتهى موضع الحاجة.

## (١٠٢)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

ثم وجدت للدكتور أحمد الربيعي تحقيقاً نافعا<sup>(١)</sup>  
نلخص منه قوله: (لقد وقع كثير من القدماء والمعاصرين الذين  
ترجموا حياة العباس بن المرداس السلمي في أخطاء فاحشة  
عندما ظنوا أن أمه تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية  
الشاعرة الجاهلية التي اشتهرت برثائها لأخيها صخر، وعندما  
ظنوا أن الخنساء هذه حضرت مع أربعة من أولادها يوم  
القادسية، وعندما ظنوا أن أولادها استشهدوا في هذا اليوم.

فالصحيح أن أم العباس بن المرداس أمة زنجية سوداء  
لا نعرف اسمها، وأن تماضر الخنساء ماتت في الجاهلية، وأن  
الخنساء التي شهدت القادسية هي الخنساء بنت عمرو النخعية  
القحطانية اليمانية، وأن أبنائها الأربعة لم يستشهدوا بل قاتلوا  
حتى فتح الله على المسلمين فعادوا إلى أمهم سالمين.

وقد كان للمرداس ثلاثة زوجات، إحداهن تماضر  
الخنساء، وكان لتماضر أربعة أزواج غير المرداس، أحدهم عبد  
الله بن رواحة السلمي، ولها منه ولد واحد هو أبو شجرة عبد  
العزى، وقد حاول اغتيال عمر لولا الشرطة الواقفة على  
رأسه، وله في ذلك شعر (الكامل للمبرد ١ / ٤٨٨ وتاريخ  
الطبري ٣ / ٢٦٦)، ومنهم زهير بن جذيمة العبسي ولها منه اثنا  
عشر ولداً أحدهم قيس بن زهير الذي قاد بني عبس في ملحمة

(١) العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ص ٢١٣-٢٢٣.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٠٣)

داحس والغبراء، وقد قتل أكثرهم في الجاهلية، وأخوه ورقاء بن زهير له شعر يذكر فيه أمه تماضر وأباه زهيراً (الجمهرة للكلبى / ١٧٥، العقد الفريد: ٥ / ١٣٥ - ١٣٧، الكامل لابن الاثير ١ / ٥٥٨، أمثال العرب للمفضل الضبي: ٣٦ والنقائض لأبي عبيدة: ١ / ٩٧ - ٩٨ وغيرها)، وكان دريد بن الصمة الجشمى الهوزانى قد خطبها فردته وهو صديق أخيها معاوية وعصيده والآخذ بثأره حلف بينهما، ولا بد أن يكون عمرهما متقارباً، ودريد هو الوحيد من جيل تماضر الخنساء الذين أدركوا الإسلام، وقد قتل دريد يوم حنين في السنة التاسعة للهجرة وعمره بين ١٥٠ - ٢٠٠ سنة (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١ / ٣٤٣، المعمرن للسجستاني: ٢٧، الأغاني للأصفهاني: ١٠ / ٣، ٢٢ / ٣٢، ٣٣ و ١٥ / ٧٦).

أما تماضر الخنساء فقد ماتت يوم (ذي حسى) وهو من أيام داحس والغبراء قتلها سيد بني ذبيان حذيفة بن بدر الفزاري، فقتله ابنها قيس بن زهير بن جذيمة العبسي شرقتله (الأغاني: ١٧ / ٢٠٨، النقائض لأبي عبيدة: ١ / ٩٧، أمثال العرب للمفضل الضبي: ٣٦).

ولم يدرك الإسلام أحد من والديها وأخوتها الثمانية، وأزواجها الخمسة وأولادها منهم وأولادهم من

## (١٠٤) ..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

غيرها سوى أبي شجرة عبد العزى والعباس بن المرداس السلمي وليس لها شعر في الإسلام.

أما الرواية التي زعمت أنها وفدت مع قومها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه استنشدتها وأعجب بشعرها وإنها شهدت مع أربعة من أبنائها معركة القادسية فهي رواية الزبير بن بكار الذي قال عنه أحمد في كتابه (الضعفاء): إنه يخلق الأخبار ويروي الأحاديث المنكرة عن المناكير وينسبها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (السيوطي: شرح شواهد المغني ١ / ٢٥٤ ، الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٦٦ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ١ / ٣١٣).

وأما الخنساء التي شهدت يوم القادسية بأشبالها الأربعة فهي امرأة من النخع ، وهي رواية الطبري (التاريخ: ٣ / ٥٤٤) وابن اعثم الكوفي (الفتوح: ١ / ٢٠٦) وابن الجوزي البغدادي (صفة الصفوة ٤ / ٣٤٧).

ومن القدماء الذين أشاعوا رواية ابن بكار بن عبد البر في الاستيعاب (٤ / ١٨٢٧) وابن الأثير في أسد الغابة (٧ / ٩٠) والنويري في نهاية الأرب (١٨ / ٢٣ ، ٢٦ و١٩ / ٢١٥) وابن خلدون في العبر (م٢ ق ١ ص ٦٣٧) وابن حجر في الإصابة (٤ / ٢٨٠ ، ٢٧٩) والسيوطي في شرح شواهد المغني (١ / ٤٥٢) .

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٠٥)

أما من المعاصرين فجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (١ / ٧٤١) والبستاني في دائرة المعارف (٨ / ٤٨٥) والزركلي في الإعلام (٢ / ٨٦) وجواد علي في المفصل (٩ / ٨٧٧) وغيرهم من الذين ساقوا رواية ابن بكار على علاتها قبل أن يسألوا أنفسهم: أين خطب تناصر الخنساء التي حرضت بها قومها بني الشريد في حروب الجاهلية لو كانت خطيبة؟ وأين شعرها الإسلامي لو كانت صحابية؟ ولماذا لم تثر أبنائها الأربعة - وهم فلذات أكبادها - وقد استشهدوا أربعتهم في ساعة واحدة وهي النائحة الثكلى التي رثت صخراً وبكته حتى عميت وماتت على زعم ابن بكار؟.

انتهى ملخصاً.

أقول: بغض النظر عن المناقشات في بعض التفاصيل فإن المهم وحدة النتيجة مع ما توصلنا إليه.

### **ثمرة البحث:**

بعد هذا التمحيص الذي تعرضت له الرواية فقد أسفرت الحقيقة عن وجهها، ولاح الصبح لذي عينين بأن الرواية من نسج الواصلين الكذابين وقد راق للزبير بن بكار - مصدرها الوحيد - بثها لكي يغطي على مأثرة أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية زوجة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) التي

## (١٠٦)..... مع النسوة الصالحات في الإسلام

تلقت نبأ استشهاد بنيتها الأربعة العباس وعبد الله وعثمان وجعفر في معركة كربلاء سنة ٦١ هـ بقولها: (الحمد لله الذي جعل أولادي فداءً لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والحسين يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام فهم فداءً للإسلام.

ولكن الزبير هذا وهو من نسل عبد الله بن الزبير الذي ترك الصلاة على محمد وآل محمد أربعين جمعة في خطبه حتى التاث عليه الناس ، فقال : إن له (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل بيت سوء إذا ذكرته اشربت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك ، فلا أحب أن أقرّ أعينهم بذلك<sup>(١)</sup> ، وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) فيه قوله : ما زال الزبير منا أهل البيت حتى أدرك فرخه ونهاه عن رأيه<sup>(٢)</sup> ، وينسب مثل هذا القول لأmir المؤمنين علي (عليه السلام) قال : ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ عبد الله<sup>(٣)</sup> ، وهذا الفرع من ذاك الأصل ومن يشابهه أبه فما ظلم.

على أن انحراف الزبير بن بكار عن أهل بيت النبوة عليهم السلام معروف ، يقول المرزباني : انحراف الزبير بن بكار

---

(١) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، ج ١ ص ٢٩٤.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، مج ١٠ ص ١٩٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع بهامش الاصابة لابن حجر مج ٢ ص ٣٠٤.

## مع النسوة الصالحات في الإسلام ..... (١٠٧)

عن أهل البيت (عليهم السلام) ظاهر<sup>(١)</sup>، وللزبير هذا هنات وهنات نسبها إلى آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس، فعند الله جزاؤه وهو خير الحاكمين.

والتأريخ الذي كان ملكاً للحكومات الظالمة الجائرة تأثر كثيراً بهذا الدس والتحريف؛ فقلب الحقيقة خيالاً والخيال حقيقة، ووجد الحكام في مثل هؤلاء الوضاعين ما يحقق لهم أمانهم في طمس كل فضيلة لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصنع أبطال وهميين قبالتهم، وكانت أم البنين إحدى ضحايا هذه السياسة الظالمة فقد اندرست مآثرتها واختلست الخنساء بغير حق مكانها ولكن ...

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢).

---

(١) الموشح ص ٥٤ نقلناها عن كتاب (السيدة سكينة بنت الحسين (عليه السلام) )